جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

قضايا إسلامية
سلسلة تصدر
غرة كل شهر عربى

رمضان

شهر الانتصارات الكبرى
والرموز الكبار

أ . د . أحمد شلبى

العدد ٥٥

القاهرة
١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

قضايا إسلامية
سلسلة تصدر
غرة كل شهر عربي

رمضان

شهر الانتصارات الكبرى والرموز الكبار

أ . د . أحمد شلبي

[العدد ٥٥]

غرة رمضان ١٤٢٠هـ - ديسمبر ١٩٩٩م

يشرف على إصدارها

الدكتور / **محمود حمدي زقزوق**

وزير الأوقاف

ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

الدكتور / **عبد الصبور مرزوق**

نائب رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

أخلد الشهور فى تاريخ الأمة

أ. د. عبد الصبور مرزوق

نائب رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

الموكب الملائكى المهيب الذى قاده أمين الوحى جبريل يحيط به الصفوف من الملائكة ينزلون بالقرآن من سدرة المنتهى إلى السماء الدنيا فى ليلة القدر من شهر رمضان .

هذا الموكب بجلاله وجلال الكتاب الذى كان يحمله يعلن للإنسانية عن ميلاد جديد للأمة التى أنزل إليها وللعالمين أجمعين فى زمن نزوله وفيمن يجيئون بعدهم حتى تقوم الساعة .

***

والميلاد الجديد الذى أحدثه « القرآن » بوصفه كتاب الرسالة الخاتمة هو البعث الأكبر لقيم الحق والعدل والجمال والخير التى كانت قد افتقدتها البشرية وطواها الطغيان والقهر فى زوايا النسيان واستحدث مكانها صنوف الاستعباد والتمييز العرقى وتقسيم البشر إلى سادة وعبيد .

نزل القرآن فى الليلة المباركة ليقول للخلق أجمعين :

﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾[1] .

ثم ليقول رسوله صلوات الله وسلامه عليه [**ليس لعربى فضل على عجمى ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى**] .

وبهذا رفع عن الناس إصرهم والأغلال التى كانت عليهم .

وأعلن الميلاد الجديد للإنسان الذى لا يسجد إلا لخالقه ، ولا يسأل إلا من رزقه ، ولايحنى هامته إلا لمن ركبها .

***

وكان طبيعياً أن تجد هذه الثورة العظمى من المستبدين والطغاة ومن الذين سرقوا الإنسان من نفسه فأذلوه وأمتهنوا كرامته .

كان طبيعياً أن تجد من هؤلاء مقاومة ضارية ومستميتة لاستبقاء ما سرقوه واغتصبوه من حقوق الإنسان ليحتفظوا به فى حظيرة الاسترقاق والمهانة . وهنا - وفى شهر رمضان العظيم - شهد التاريخ أعظم انتصارات الحق على الباطل ، والخير على الشر ، وكان قبلهما شهر الميلاد الجديد لإنسانية كل الناس حيث لا سادة ولا عبيد .

***

(١) الحجرات : ١٣ .

سجل الانتصارات فى رمضان :

وقبل أن أعرض قائمة هذه الانتصارات كما سجلها التاريخ أود التذكير بأن توالى هذه الانتصارات فى هذا الشهر بالذات لم يكن ولا يمكن أن يكون قد وقع بالصدفة ولكنه حدث لارتباطه بفريضة الصيام فى هذا الشهر العظيم .

وهنا يكون التساؤل : كيف ينتصر المقاتلون أثناء الصَوْم والقتال يحتاج إلى طعام يصنع القوة ويوفر الطاقة ؟ .

وهنا أيضاً يكمن سر الإعجاز الذى صنعه الصيام فى قدرات المقاتلين ..ذلك لأنهم إذا كانوا قد فقدوا بعض طاقات الحس من طعام وشراب فقد أبدلهم الله بها طاقات إيمانية هائلة ارتقت بها قدرات النفس على متطلبات الحس ... جعلتهم يقدمون ولا يحجمون ، بل صنعت منهم أبطالاً أكبر فى عزمهم وبسالتهم مما هم عليه من جوع وظمأ فإذا هم يتحدون أعداءهم ويطلبونهم للنزال والمقاتلة ، فإذا التقى الجمعان رأيت أهل الكفر يخرون بين أيدى الصائمين صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية .

***

ولنراجع معاً قائمة هذه الانتصارات التى حدثت كلها فى شهر رمضان لنرى مصداق ما قررناه عن سر الصوم فى صناعة طاقة مزدوجة إحداهما إيمانية ترحب بالموت ويطلب صاحبها الشهادة ، والثانية حسية ومعنوية معاً تجعله يضرب حين يضرب وكأن بأيديهم جميعاً سيوف الله .

***

* انتصارات " بدر " الكبرى حدثت فى١٧ رمضان للسنة الثانية من الهجرة .
* فتح مكة وقع فى العشرين من رمضان للسنة الثامنة من الهجرة .
* غزوة تبوك ضد الروم تمت فى رمضان السنة التاسعة من الهجرة .
* انتصار " البويب " ضد الفرس فى رمضان السنة الثالثة عشرة من الهجرة .
* الاستيلاء على جزيرة رودس فى رمضان السنة الثالثة والخمسون من الهجرة .
* انتصارات طارق بن زياد فى رمضان السنة الثانية والتسعون هجرياً .
* انتصار صلاح الدين على بعض الصليبيين فى رمضان سنة ٥٨٤ هجرياً .
* انتصار المصريين على المغول بقيادة (قطز) فى عين جالوت سنة ٦٥٨هجرياً .
* انتصار المصريين بقيادة (بيبرس) فى أنطاكية سنة ٦٦٦ هجرياً .
* انتصار المصريين على اليهود فى العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣هجرياً .

***

وأدع مؤلف الكتاب أ . د / أحمد شلبى ليبسط القول عن هذه الانتصارات العظام التى وقعت جميعها فى شهر رمضان .

لكنى أعود فأذكر بأن لهذا الشهر خصوصية عظمى مع هذه الأمة جديرة بالتقدير والتدبر ..

ففيه نزل القرآن ليحدد للأمة دورها القدرى المنوط بها فى التمكين فى أرض الله لكلمات الله ، ولذا - وكما قال الرسول صلوات الله وسلامه عليه - كان أهلها فى رباط الى يوم القيامة ، وكان جندها خير أجناد الأرض .

ومن هنا يصبح من أوجب الواجبات على ولاة أمر الأمة فى أرض الإسلام أن يولوا هذا الشهر العناية والرعاية بما يحقق للأمة أن تتواصل بأرواحها وبفكرها وسلـــوكها بما يليق وجلاله ..

ويصبح كذلك من أوجب الواجبات على أجهزة الإعلام فى مختلف أرجاء أمتنا أن نتعامل مع جلال " الفريضة " فريضة الصيام والشهر الذى أنزل فيه القرآن بما يعرب عن الولاء والانتماء لدين من خلال تعظيم أيامه ورموزه .

ولا يفوتنى عند الختام أن أذكر نفسى وأبناء أمتى بصحبة القرآن ذلك الضيف العظيم الذى أنزل إلينا فى رمضان نرتله ونتدبره ونتأمل ما فيه عسى أن تعرج معه أرواحنا إلى حيث الرضا والنور وربنا الهادى إلى سواء السبيل ، .

***

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

(معلومات عامة عن رمضان)

شهر رمضان هو الشهر التاسع من الشهور القمرية ، قيل اشتُق اسمه من الرمضاء ، وهى الحرارة الشديدة عندما كانت دورة الشهور القمرية موسمية ، أى ترتبط بالفصول الأربعة .

وتتصل بشهر رمضان جملة من التقاليد والعادات الدينية والاجتماعية وتشترك فيها أكثر البلاد الإسلامية مع اختلاف موقعها على الكرة الأرضية ، ومنها الحفاوة بقدوم هذا الشهر الكريم فى احتفالات تُعرف « **بمواكب الرؤية** » ، وكانت الطرق الصوفية أيام ازدهارها تُمثِّل العنصر المهم فى هذه المواكب وتجمع حولها جماعات الأطفال والصبيان ، وتطوف هذه المواكب بشوارع القرى وأهم شوارع المدن وهم ينشدون الأناشيد الدينية مع أنغام الطبول والمزمار ، ومن هذه التقاليد أن تضاء المساجد ، وفى الريف كانت تجمعات الأسر تلتقى فى مقر الأسرة ، ويُدعى بعض حفاظ القرآن الكريم للتلاوة من نهاية صلاة التراويح حتى موعد السحور ، ويتبع ذلك أن تقام موائد الإفطار والسحور فى هذه الأماكن ، ويُدعى لها المحتاجون والغرباء ، وموائد الإفطار تطورت فى السنوات الأخيرة فأصبح بعض الأثرياء وبعض الفنانين يقيمونها فى بعض الشوارع وتتكفل بعض الفنادق بإعدادها والدعوة لها عامة .

وترتبط بأيام رمضان عادةٌ أخرى طيبة هى توزيع ألوان من الحلوى والملابس على المحتاجين خلال هذا الشهر الكريم ، بل أخذت بعض الشركات الكبرى وبخاصة شركات النسيج تخصص قدراً كبيراً أو صغيراً من منتجاتها لتباع بأسعار التكلفة وذلك للإسهام فى مساعدة الفقراء وتشجيع الذين يشترون ملابس لتوزع على الفقراء فى هذا الشهر .

وفى هذا المجال كان خلفاء الدولة الفاطمية بمصر يوزعون فى شهر رمضان ألواناً من الحلوى وصُرر النقود والخِلَع على الموظفين ورجال الدولة .

وشهر رمضان هو الشهر الوحيد من بين شهور السنة الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم ، قال تعالى : **﴿شهر رمضان الذى أُنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾**[1] .

وفى رمضان كذلك نزلت صحف إبراهيم عليه السلام ونزلت التوراة والإنجيل .

ولرمضان عدة أسماء منها : شهر الصيام ، وشهر القرآن ، وشهر القيام ، وشهر التراويح والتسابيح والخيرات .

ومن أركان الإسلام التى فُرضت فى هذا الشهر فريضة صومه وكذلك فريضة زكاة الفطر وسيأتى حديث عنها .

---

(١) البقرة : ١٨٥ .

من روحانيات رمضان

فضل الصوم :

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كُتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** ﴾[1] ، فالصيام كُتب على الناس فى كل العصور لعلهم يتقون المعاصى ويبعدون عنها لأن الصوم يكسر حدَّة الغضب وحدة الشهوة وبهذا يتجه الإنسان للأفضل والأحسن .

وهناك حديث قدسى يوضّح فضل الصوم عند الله سبحانه وتعالى ونصّه : [**كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به**] .

ويقول المحدِّثون : إن المعنى أن الله سبحانه يبيِّن أن العبادات المختلفة قد يدخلها الرياء والإكراه إلا الصوم فإنه سرٌّ بين العبد وربه ، ومحافظة الإنسان على الصوم مع إمكانه أن يفطر ولا يراه أحد ، هذا يجعل عبادته عميقة الصلة بالله ، لذلك فإن الله سبحانه وتعالى يثيب الصائم بفيض من عطائه ، والرسول صلوات الله وسلامه عليه يبيّن فضل الصوم فيقول : [**عليكم بالصوم فإنه لا عدْل له**] أى ليس هناك نظير له بين العبادات ، ويقول كذلك [**لكل شىء زكاة وزكاة الجسد الصوم**] ، والرسول بهذا يشير إلى أن هناك زكاة

---

(١) البقرة : ١٨٣ .

للمال يقدمها الإنسان للفقراء ، وزكاة للصحة يقدمها الصحيح للمرضى ، فإذا عاونت مريضاً فهذه المعونة زكاة لصحتك وإذا قدت كفيفاً فهذه زكاة لنور عينيك ، وهناك زكاة للعلم . فالعالم الذى يخلص فى عمله ويقدمه لطالبيه إنما يدفع زكاة هذا العلم .

وإذا كانت هناك زكاة للمال وزكاة للعلم . فزكاة الجسد الصوم لأن الصوم يطهِّر الجسد كما يتطهَّر المال بزكاة المال .

آداب الصوم :

على أن للصوم آداباً ينبغى أن يلاحظها الصائم ، وإذا لم يفعل ضاع صومه ولم يؤت ثماره والرسول ﷺ يوضح هذه الآداب فيقول : [**الصيام جُنَّة كجنة أحدكم فى القتال ما لم يخرِّقه بكذب أو غيبة**] .

ومعنى جُنَّة أى وقاية يقى بها الإنسان نفسه كتلك الجُنَّة التى يلبسها المحارب لتحميه الضربات والطعنات ، ولكن جُنة المحارب تكون عديمة الفائدة لو كانت مخرَّقة مهلهلة ضعيفة ، كذلك لا يحمى الصوم الإنسان إذا كذب أو اغتاب ، فالكذب والغيبة تزيل قدرة الصوم على وقاية الإنسان .

وفى ذلك يقول ﷺ : [**إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث (لا يفحش فى القول) ولا يصخب (لا يرفع صوته صائماً بل لابد أن يكون هادئاً وقوراً) فإن سابُّه أحدٌ (أى اعتدى عليه بكلمة خشنة) فليقل إنى صائم (أى إنى فى حالة تمنعنى من مواجهة الشر بالشر والسباب بالسباب)**] .

وفى ذلك يقول ﷺ أيضاً : [**مَنْ لم يدع قـول الزور والعـمل به فليس لله حـاجـة فى أن يدع طعـامـه وشرابه**] ، ويقول : [**رب صائم حظّه من صومه الجوع والعطش**] فهو لا ينال ثواب الصوم لعدم محافظته على آدابه .

آداب الفطـر :

فى رمضان يفطر بعض الناس لسبب أو لآخر ، فهناك مثلاً غير المسلمين فى البلاد الإسلامية فهؤلاء لا يصومون بطبيعة الحال ، وهناك كذلك المسلم المسافر الذى له رخصة فى أن يفطر ، وكذلك المريض ، والمرأة التى لها عذر شرعى ، بل هناك المفطر العاصى وهو المسلم الذى لا عذر له ، ولكنه غير صائم .

هؤلاء عليهم آداب يجب التزامها ، وينبغى أن يحاسبوا على المخالفة . والآداب هى :

١ - أن يكون طعامهم وشرابهم وتدخينهم بعيداً عن أعين الصائمين احتراماً لحرمة الشهر ولحرمة الصائمين .

٢ - أن يكون طعامهم وشرابهم بقدر الضرورة فإباحة الفطر معناها أن يفطر لضرورة مواجهة العذر الذى أباح له الفطر ، أى لمواجهة حاجة المسافر أو المريض لما يساعده على السفر ، أو مقاومة المرض .

٣ - وعلى الذين يدخنون السجائر - وهى بلاء نرجو أن يبعد الناس عنه - ألا يدخنوا أمام الصائمين ، ومن العيب الكبير أن يسير المفطر فى نهار رمضان وفى يده سيجارة ينبعث دخانها ، إن مثل هذا جدير بالتعزير والعقوبة .

ولنتذكر فى هذا المجال قوله عليه الصلاة والسلام : **[كل أمتى معافاً إلا المجاهرين]** ، وهذا وعد كريم أن يغفر الله للمذنب الذى يستر ذنوبه ، ولكن المجاهر لن ينال العفو ، فهو بالإضافة لارتكاب الذنب فيه جراءة واستهتار ، وعدم مبالاة وذلك يضاعف ذنبه ويحرمه عفو الله سبحانه وتعالى .

ومن روحانيات الصوم أنه يتمشى مع قول الرسول ﷺ :

[نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع] .

وذلك نموذج جيد لإراحة المعدة من التخمة ، والهرب من الترهل ، وبعث النشاط إلى الجسم .

ومن الناحية الروحية ما أدركته البشرية منذ عهود سحيقة من أن الصوم يعمل على تهذيب النفس وسمو الروح بسبب إهمال الماديات ، والعمل على تقوية الجانب الروحى فى الإنسان ، ومن هنا لجأ كثير من الفلاسفة القدماء إلى الصوم ، بل بالغوا فيه أحياناً بقصد القضاء على الجانب المادى فى الإنسان بقصد تقوية الجانب الروحى كما فعلت الهندوكية والبوذية .

والذى يفكر فى الصوم كما نظّمه الإسلام يجد أنه رياضة روحية سامية ، وأنه ترجيح لجانب الروح فى صراعها مع الجسم وأنه عن طريق الصوم يتحرر الإنسان من العادات التى خضع لها على مرّ الزمن ، كتناول الطعام فى وقت معيّن ، وكالتدخين والمرح ، تلك العادات التى يمكن أن يقال إن الشخص أصبح عبداً لها لا يستطيع أن يتخلف عنها ولا الفكاك منها .

ثواب من فطّر صائماً:

ومن روحانيات رمضان أن يقدم المسلم طعام الإفطار للصائم، يقول ﷺ [**من فطّر صائماً كان له مثل أجره، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئاً**].

وقال أيضاً: [**من فطّر صائماً، أو جهزّ غازياً فله مثل أجره**].

زكاة الفطر :

فى أصح الأقوال إن زكاة الفطر شرعت فى الثانى والعشرين من رمضان سنة ٢ هـ، وهى الزكاة التى تجب بمناسبة الفطر من رمضان، أى إكمال صومه حتى اليوم الأخير منه، وهى واجبة على الفرد المسلم عن نفسه وعن مَنْ تجب عليه نفقته من زوجة وأولاد وخدم.

وقد شُرعت فى السنة الثانية للهجرة، وحكْمتها أنها تطهِّر الصائم مما عسى أن يكون وقع منه من اللغو والرفث، ولتكون عوناً للفقراء فى يوم العيد، والدليل عليها ما رواه ابن عباس أن الرسول ﷺ فرض زكاة الفطر طهرة للصائم وطعمة للمساكين.

وتجب بإفطار اليوم الأخير من رمضان، ويجب إخراجها قبل صلاة العيد، ويجوز إخراجها من أول يوم فى رمضان، ومقدارها صاع، أى أربع حفنات والحفنة ما تحمله كفَّا الرجل

معتدل الكفين ، ويكون ذلك من القمح والشعير والذرة والتمر والزبيب أى من طعام الناحية .

ولا تسقط بالتأخير بل تصبح ديناً واجب السداد ، ويجوز إخراج قيمتها نقداً ، والقيمة تتغير بتغير أسعار الحبوب والطعام .

وتجب زكاة الفطر على من عنده فائض عن قوت يومه ، وعلى هذا فهى واجبة على الغنى والفقير ، وبلغة أخرى يجب على الفقير الذى عنده زائد عن قوت يومه أن يخرجها ، ويجوز له أن يأخذها من الآخرين ، والحكمة فى وجوبها على الفقراء أن يعتاد الفقيرُ العطاء فقد يصبح غنياً .

انتصارات المسلمين

فى شهر رمضان

هل هى مصادفة أن تتحقَّق للمسلمين صورٌ رائعة من الانتصارات خلال شهر رمضان ، وعلى مر الأزمنة ومع اختلاف الظروف ؟

إن المصادفات لا تتكرر على هذا النمط ، وكلمة مصادفة معناها شىء يحدث غير متوقع أو بطريق غير مأمولة ، ولكن عندما تتكرر أحداث على خط واحد ، فإن المصادفة لا يمكن أن تكون القاسم المشترك بينها .

والذى يضع قائمة الانتصارات التى تحققت للمسلمين على مر التاريخ خلال شهور رمضان لابد أن يهتف من أعماقه : الله أكبر ، نعم الله أكبر ، فهو الذى منح النصر عندما كان النصر عزيزاً وصعب المنال .

ثم إن قائمة الانتصارات التى حدثت فى شهور رمضان لم تكن فى حروب عادية ، بل كانت فى حروب قاسية ، وظروف صعبة ، وكان العدو رهيباً فى كل حالة من هذه الحالات مما يجعل الآية الكريمة **﴿ ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ﴾** (١)

---

(١) آل عمران : ١٢٣ .

لا تتحقق فقط فى غزوة بدر ، بل تتحقق فى جميع هذه المعارك الكبرى التى حدثت فى شهر رمضان عبر الأزمنة والأمكنة .

وحتى نتبين خطورة هذه المعارك نقدم قائمة هذه المعارك الرمضانية ، وسنتدارسها بعد ذلك ، ونبين خطورتها :

١ - غزوة بدر الكبرى فى رمضان سنة ٢هـ .

٢ - فتح مكة فى رمضان سنة ٨هـ .

٣ - غزوة تبوك ضد الروم فى رمضان سنة ٩هـ .

٤ - البويب ضد الفرس فى رمضان سنة ١٣هـ .

٥ - السيطرة على جزيرة رودس فى رمضان سنة ٥٣هـ .

٦ - نزول طريف على شواطىء أسبانيا فى رمضان سنة ٩١هـ ثم انتصارات طارق بن زياد فى رمضان سنة ٩٢هـ .

٧ - انتصارات صلاح الدين الأيوبى على بعض قلاع الصليبيين فى رمضان سنة ٥٨٤هـ .

٨ - انتصارات المصريين بقيادة السلطان قطز على المغول فى عين جالوت فى رمضان سنة ٦٥٨هـ .

٩ - انتصارات المصريين بقيادة الظاهر بيبرس على إمارة إنطاكية وإسقاطها فى رمضان سنة ٦٦٦هـ .

١٠- انتصارات المصريين على الصهاينة فى رمضان سنة ١٣٩٣هـ .

وسنتدارس هذه المواقع ، موقعة إثر موقعة ، لنرى جهد المسلمين العظيم ، ذلك الجهد الذى أمدته يد الله بالعون حتى تحقق للمسلمين النجاح العظيم الذى كانوا يطمعون فيه .

دراسة الماضى لخدمة الحاضر والمستقبل:

وينبغى أن يكون واضحاً أن حديثنا عن الماضى يجىء بالإحساس بأن الحاضر ابن الماضى . فإذا كان أجدادنا قد استطاعوا على مر الزمان ، وفى اختلاف الأحوال ، أن يحققوا هذه الصور من النجاح ، فما أجدرنا أن نسير على نفس الطريق لنحقق ما نستحقه فى حاضرنا من مجد وسؤدد ، وضع الأجداد أساسه ، ونظموا بنيانه .

فلسنا ندرسه لنعيش فى التاريخ ، بل ندرسه لنضيف إليه جديداً مما سيصبح غداً وبعد غد تاريخاً جديداً .

ولسنا ندرسه لنتغنَّى به فحسب ، بل لنجدد العزائم حتى نخلق مزيداً من النجاح يتغنَّى به أحفادنا كما تغنينا نحن بأمجاد الأجداد .

ونحن فى عالمنا الحاضر نعيش عصراً حافلاً بالتحدى ، ليس للضعيف فيه مكان ، ومن هنا فالحفاظ على حضارتنا السابقة يقتضى قوة وتدبيراً حتى يهابنا أولئك الذين لا يهابون إلا القوة ، وصدق الله العظيم الذى يقول ﴿ **وأعدُّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم**﴾[1]، والمقصود برباط الخيل تزويد الجيش بأقوى الأسلحة التى تضمن النصر ، فقد كان الخيالة فى الماضى

(١) الأنفال : ٦٠.

هم عماد الجيوش الكبيرة ، ثم إن قوله تعالى ﴿ **ترهبون به عدو الله وعدوكم** ﴾ يوضح فكرة أخذ بها العصر الحاضر ، وهى أن الاستعداد للحرب يمنع الحرب ، ولذلك نجد القوى الكبرى تبذل أقصى الجهد فى التسليح والتدريب ، وهى لا تقصد بذلك مجرد الانتصار فى الحرب ، بل إن أهم ما تقصده هو تخويف العدو ، فلا تقع الحرب ، فالاستعداد للحرب يحمى البلاد وينقذ الأرواح ، أما الذين لا يستعدون للحرب فيظلون نهباً للقوى الظالمة .

الإسلام دين سلام:

وبهذه المناسبة نذكر أن الإسلام دين سلام ، وأن المسلمين لم يدخلوا المعارك إلا للدفاع عن النفس ، وقد جاء الإسلام للعالم والحرب هى سياسة البشرية ، يقوم بها القوى ليستعبد الضعيف ويذله ، ولكن الإسلام هتف فى أولى آياته بقوله تعالى ﴿ **ادخلوا فى السلم كافة** ﴾[1] .

وقوله : ﴿ **وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين** ﴾[2] ، وكان هذا الاتجاه جديداً على البشرية .

---

(١) البقرة : ٢٠٨ .

(٢) البقرة : ١٩٠ .

وبعض الناس يظن أن المسلمين حاربوا لينشروا الإسلام ، وهذا خطأ كبير ، فالله سبحانه وتعالى يحرِّم على المسلمين إكراه أحد على الدخول فى الإسلام ، وفى هذا المجال نذكر قوله تعالى : **﴿لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى﴾** (١) .

وقوله : **﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾** (٢) .

وقوله : **﴿ لكم دينكم ولى دين ﴾** (٣) .

ولم يدخل المسلمون معركة على مر التاريخ إلا دفاعاً عن النفس ، ويتحقق ذلك فى الحروب التى سنذكرها فى أحاديثنا التالية ، كما يتحقق فى الصراعات التى فرضها العدوان المغولى أو الصهيونى .

انتشار الإسلام بالدعوة:

أما دخول الناس دين الإسلام فلم يكن إلا بالدعوة وقد حارب المسلمون جيوش الروم فى سوريا ومصر والشمال الأفريقى ، وحاربوا جيوش الفرس فى العراق والخليج . وبعد ذلك تركوا للناس الحق فى سوريا ومصر والشمال الأفريقى وغيرها أن

---

(١) البقرة : ٢٥٦ .

(٢) النحل ١٢٥

(٣) الكافرون : ٦ .

يلتحقوا بالإسلام أو يبقوا على دينهم ، وقد دخلت الأغلبية العظمى الإسلام بالدعوة التى قام بها الشيوخ والعلماء بعد أن توقفت الحروب ، وبقى بعض السكان على دينهم حتى الآن ينعمون بالحقوق التى كفلها الإسلام لغير المسلمين فى المجتمع الإسلامى .

والآن بعد هذه المقدمات نسير لدراسة المعارك التى ذكرناها واحدة واحدة .

غزوة بدر الكبرى

(رمضان سنة ٢هـ)

غزوة بدر مهمة جداً فى تاريخ الحروب والحركات العسكرية، إنها أول معركة بين القوة الإسلامية الناشئة ، وبين قوة قريش التى كانت كثيرة العدد والعدَّة ، وكانت مؤيدة بجماهير العرب الذين كانوا آنذاك يعدُّون المسلمين جماعة متمرِّدة على الفكر الوثنى السائد .

وكان انتصار المسلمين معناه تثبيت أقدامهم ، أما احتمال الهزيمة فقد عبر عنه الرسول ﷺ بقوله مناجياً ربه والمعركة تدور : [**يا رب إنْ تهلك هذه الطائفة فلن تعبد فى الأرض**] .

وهذه المناجاة توضح أن النصر فى بدر ضمن الحياة للإسلام وأن الهزيمة كانت - لو حصلت - تعنى النهاية والفناء .

ومن هنا فإن هذه الغزوة تدخل فى نطاق أخطر المعارك التى عرفها التاريخ ، والتى كانت بعيدة الأثر فى الحياة الإسلامية

قافلة تجارية ومحاولـــة

استرداد أموال المسلمين:

كان من الأسباب المباشرة لغزوة بدر اعتراض المسلمين لقافلة قريش التجارية العائدة من الشام بقيادة أبى سفيان ابن حرب ، وقد قرر المسلمون أن يعترضوا طريقها ليثبتوا لقريش قوتهم ، ولينالوا من أموالهم إن أمكن ذلك ، نظير أموال المسلمين التى سلبتها قريش عقب هجرتهم من مكة إلى المدينة ، إذ كان المشركون قد استولوا على أموال مَنْ هاجر من المسلمين ، حتى أن الرسول ﷺ عندما عاد معتمراً فى العام السابع سأله أسامة : فى أى المنازل تنزل ؟ فأجاب وهل ترك لنا عُقَيل منزلا ؟ نحن نازلون بوادى كنانة . فقد كان عقيل بن أبى طالب قد استولى على منزل الرسول وباعه (البخارى) .

وعلى هذا خرج المسلمون لملاقاة القافلة ، ولكن أبا سفيان علم بخروجهم عن طريق عيونه وجواسيسه الذين كانوا يتقدمون القافلة ، فأرسل إلى مكة يطلب من قريش أن تسرع لحماية أموالها التى يريد المسلمون أن يأخذوها ، فخرج جيش قريش ، وكان عدده حوالى الألف ، فيهم أبطال قريش وعظماؤها ، وفى الوقت نفسه استطاع أبو سفيان أن يسلك طريقاً غير الطريق التى قصدها المسلمون ، وأن يتجه محاذياً البحر وينجو بتجارته .

الجيشان يتقابلان:

وأفلتت بذلك تجارة قريش ، ولكنها فى الحقيقة لم تكن الهدف الأساسى الذى تحرك له الجيشان ، ولو كانت الهدف الحقيقى لعادت قريش بعد أن نجت تجارتها ، ولعاد المسلمون بعد أن يئسوا من الاستيلاء على هذه التجارة ، وعلى كل حال فقد أفلتت القافلة التجارية ولكنها تركت فى وادى بدر جيشين على أهبة القتال ، وكل من هذين الجيشين تدفعه عوامل عميقة ليعمل جاهداً رجاء أن يقضى على الجيش الآخر ، وكل من هذين الجيشين يدرك ألا طمأنينة له ولا هدوء وهناك الجيش الآخر يتربص به ، حتى أصبحت المسألة قضية حياة أو موت .

وصف الجيشين:

بيد أنه فى هذه المواجهة برز شىء جديد ، هو عدم التكافؤ بين الجيشين المتقابلين من ناحية العدد ، والعدَّة ، ومن ناحية الاقتصاد ، ومن ناحية الحماس ، ومن ناحية التأييد العام من المجتمع العربى .

فمن ناحية العدد كان جيش المسلمين ٣١٤ وجيش قريش حوالى الألف .

ومن ناحية العدَّة كان جيش قريش أكثر استعداداً وأقوى أسلحة .

ومن ناحية الاقتصاد كان جيش المسلمين مثقلاً بتبعات جسام ، فإن المدينة كانت تواجه ضائقة اقتصادية لكثرة

المهاجرين ، وضرورة إمدادهم بالحاجات الضرورية فى تلك الفترة الوجيزة من هجرتهم حتى مطلع هذه المعركة ، وفى الجانب الآخر كان اقتصاد مكة راسخاً قوياً يُمدُّهم بما تحتاجه المعارك من سلاح وطعامٍ ووسائل مختلفة .

ومن ناحية الحماس كانت قريش قوة صاخبة يحسب لها ألف حساب ، تزمجر وتتلهف على النيل من المسلمين ، ولم يكن سهلاً على القلة المسلمة أن تواجه هذه الزمجرة وهذا الصخب .

وكانت قريش تحظى بتأييد كافة العرب ضد المسلمين الذين كانوا يُعَدُّون فى نظر الكثيرين متمردين على الوثنية المألوفة .

وهنا تدخل يد الله لترجِّح الكفةُ التى كانت شائلة ، ولتقوى الجماعة التى أحست الضعف ، وفى سورة الأنفال آيات كريمة تصوِّر حالة المسلمين كما تصور قوة الله وهى تدخل المعركة فترجِّح جانب المسلمين على جانب قريش ، قال تعالى : ﴿ **إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين** ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ **إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب** ﴾[2] .

---

(١) الأنفال : ٩ .

(٢) الأنفال : ١٢ .

والناظر فى هذه الآيات يرى عون الله الذى تمثل فى إرسال ملائكة تقاتل فى صفوف المسلمين وتمثل كذلك فى تطمينهم وتبشيرهم بالنصر .

ومن أجل هذا نقرر أن قوة الله كانت فى المعركة ، وبها تحقق النصر ، قال تعالى : **﴿ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾**(١).

التحدى والمبارزة:

وسرعان ما برز من قريش ثلاثة يعدون من خيرة أبطالها وهم ينتسبون إلى محتد رفيع وأرومة عريقة ، وهم فى الوقت نفسه أساطين بيت واحد ، أولئك هم : عتبة بن ربيعة وابنه الوليد وأخوه شيبة ، وعتبة هذا هو جد معاوية بن أبى سفيان لأمه ، فهو أبو هند ، والوليد أخوها وشيبة عمها ، وقد انخلع هؤلاء من معسكر قريش ، واتجهوا إلى الفراغ الذى يفصل بين الجيشين وصرخوا فى المعسكر الإسلامى : من يبارز ؟

ولم يكن أمام المسلمين إلا أن يقبلوا التحدِّى ، وهم الذين هانت عليهم الدنيا وضحوا بأغلى ما فيها ، بالمال والبنين من أجل العقيدة ، وحينئذ اختار الرسول من معسكره ثلاثة قريبى الصلة به ، وقدَّمهم للمبارزة وهؤلاء هم : عمه حمزة وابن عمه عبيدة بن الحارث ، وابن عمه على بن أبى طالب .

---

(١) الأنفال : ١٧ .

ودار الصراع عنيفاً بين هؤلاء الأبطال الستة ، وثار الغبار وكثف حتى لم يعد الناس يستطيعون رؤية المتبارزين ، وكان لمعان السيوف يبدو للناس بين الغبار وكأنه البرق بين الغمام ، وكانت صيحات الأبطال تشق الفضاء الصامت حولهم بعد أن خيم على الناس الوجوم والحذر ، ثم انجلت الموقعة عن قتل المشركين الثلاثة ، قتل عليٌّ قرنه الوليد ، وقتل حمزة قرنه عتبة ، وسقط شيبةُ بسيوف الثلاثة ، وعاد حمزة وعلى سالمين وأصيب عبيدة بجراح بليغة مات بها .

ثم دارت المعركة بعد ذلك ونجح المسلمون فيها نجاحاً عظيماً ، فقتلوا سبعين رجلا من صناديد قريش وأسروا سبعين آخرين ، ودارت الدائرة على الظالمين .

وهناك أحداث خطيرة ارتبطت بغزوة بدر نكتفى بإيراد حَدَثين منها متصلين باثنين من أعمام الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، أحدهما مسلم صالح هو حمزة ، والآخر وثنى ظالم وهو أبو لهب .

حمزة فى بدر:

أحس أمية بن خلف أحد قادة قريش فى بدر أن الهزيمة ستنزل بقومه فالقى بنفسه أسيراً فى يد الصحابى عبد الرحمن بن عوف ، وأطمعه فى فدية كبيرة ، ثم سأل أمية عبد الرحمن : مَنْ الرجل منكم المعلَّم بريشة نعامة فى صدره ؟

قال عبد الرحمن : إنه حمزة بن عبد المطلب .

قال أمية : ذاك الذى فعل بنا الأفاعيل .

أبـو لهـب:

كان أبو لهب قد تخلّف لعذر عن معركة بدر ، وأرسل مكانه العاصى بن هاشم ، وكان أبو لهب يجلس قلقاً ينتظر الأنباء عن المعركة ، فرأى رجلاً اسمه : سفيان بن الحارث عائداً من المعركة فهتف به أبو لهب :

هلم إلىَّ يا ابن أخى ، أخبرنى عن أمر الناس هناك .

قال سفيان : والله ما هو إلا أن لقينا القوم حتى منحناهم أكتافنا ، فأخذوا يقتلون منا ويأسرون كيف شاءوا ، وأيم الله مع ذلك ما لمت الناس ، لقد كان مع محمد رجال بيض على خيل بلق والله ما تُبقى شيئاً ، ولا يقوم لها معارض ....

فاغتم أبو لهب وقام مولياً ذليلاً ، وما عاش بعد ذلك إلا سبع ليال ثم مات .

ويقال إنه مات بمرض معدٍ جعل الناس يتحاشون لمس جثمانه ، فجذبوه بفراشه ودفعوه بالعصى إلى حفرته .

تلك هى غزوة بدر ، وذلك حديثها بإجمال ، إنها مَعلم من معالم العظمة فى التاريخ الإسلامى ، وموقف بطولى وقفته قوة صغيرة فسحقت قوة عاتية جبارة ، وحمت الديار بعد أن عجزت العدالة والسياسة عن الحماية .

وسيظل رجالها قدوة للشباب المسلمين الذين يريدون الخلود ولو ضحُّوا بأنفسهم فى سبيل الدين والوطن .

غـزوة الخنـدق

فى الثالث عشر من شهر رمضان المعظم وفى السنة الخامسة للهجرة بدأ المسلمون وهم صائمون فى حفر الخندق استعداداً لغزوة الخندق التى كانوا يتوقعونها ، والتى حدثت فى شهر شوال التالى ، وتعتبر هذه الغزوة من أخطر الغزوات ، إذ تجمع فيها ضد المسلمين قريشٌ واليهودُ وغطفان وأشجع ، وكانت مواجهة المسلمين لهذه الأحزاب صعبة ، فاقترح سلمان الفارسى حفر الخندق فى المناطق التى يتوقع المسلمون أن يسلكها الأعداء وهى الشمال والغرب .

وقد اشتغل الجميع بما فيهم الرسول ﷺ فى الحفر وكانوا ينشدون :

يا رب لولا أنت ما اهتدينا *** ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزل سكينة علينـــــــا *** وثبت الأقدام إن لاقينا

وعلى الجانب المتصل بالمدينة المنورة من الخندق أقام المسلمون مجموعة من المساجد الصغيرة يصلون فيها فوجاً بعد فوج .

وقد صادف المسلمون كدية صعبة لم تستجب لضربات الفؤوس وخافوا أن تصبح معبراً للأعداء ، فذهبوا للرسول ﷺ يطلبون رأيه فأخذ بعض المياه وتلا عليْها بعض آيات من القرآن الكريم ، وسكبوا هذه المياه على الكدية فانهارت أمام ضربات

المسلمين ، وكانت تلك من المكرمات التى ساعد بها الله سبحانه وتعالى رسوله فى الأزمات .

ووقف المسلمون يدافعون من خلف الخندق ، ووقف المشركون على الجانب الآخر ، وسرعان ما تصدى بطل من أبطال المشركين هو عمرو بن ودّ لجموع المسلمين وصرخ : هل من مبارز ؟ ، ولم يجرؤ أحد على الخروج لمبارزته ، فلما كرر صرخاته قال علىّ بن أبى طالب للرسول صلوات الله وسلامه عليه : أنا أخرج له يا رسول الله ، فقال الرسول : لا يا علىّ إنه عمرو بن ودّ . وكرر عمرو تحديه وكرر الرسول خوفه على علىّ ، ولكن علياً قال : أنا له وإن كان عمرو بن ودّ .

والتقى البطلان ، ولكن عمراً قال لعلىّ : أنت شاب وكانت لى بأبيك صلة ، فلا أريد أن أقتلك . ولكن علياً أجابه : ولكنى أريد أن أقتلك فى سبيل الله ، ودارت معركة قاسية خرج منها علىّ منتصراً وهو يهتف الله أكبر .. الله أكبر .

فتح مكة فى رمضان سنة ٨هـ

مصاعب الزحف على مكة:

لم يكن المسلمون فى فتح مكة يواجهون معركة عادية إنها كانت مواجهة لعاصمة الجزيرة العربية كلها ، وصراعاً ضد أعتى مراكز الشرك كانت حرباً ضد حماة الأصنام والأوثان والذين يربحون من موقعهم كثيراً من المال والجاه .

ثم هناك فى مكة مجموعة من الصناديد الموتورين ، هناك عكرمة بن أبى جهل ، وقد كان أبوه من الأبطال الذين قاوموا الإسلام منذ مطلع الإسلام ، فلما قتل أبو جهل فى غزوة بدر زادت نار الحقد اشتعالا فى قلب ابنه عكرمة ، وهناك صفوان بن أمية الذى قتل أبوه وأخوه فى غزوة بدر ، وهناك أسرة أبى سفيان التى يملأ الحقدُ والغيظ قلوب أفرادها منذ قتل فى بدر عتبة والد هند زوجة أبى سفيان وشيبة عمها والوليد أخوها وحنظلة ابنها .

ومن ناحية أخرى فإن فتح مكة كان معناه القضاء على الأصنام ، وللأصنام عُبَّاد فى مكة وغيرها يمكن أن يشتركوا فى الدفاع عن معبوداتهم .

وكأن قريشاً كانت تحس بقوتها فنقضت العهد الذى كانت قد عقدته مع المسلمين فى السنة السادسة للهجرة ، وانضمت لحلفائها بنى بكر فى صراعهم ضد خزاعة حلفاء المسلمين ، واستنجدت خزاعة بالمسلمين .

وأعد الرسول جيشاً لهذه الجولة الخطيرة ، وكان عدده عشرة آلاف محارب ، وكان الرسول شديد الحرص على أن يتمَّ فتح مكة بدون دماء ، حرصاً على العلاقات القبلية ، وإبقاء على أمل التعاون بين مكة والمدينة ، ولذلك استعمل الرسول سلاح التخويف والرهبة .

سلاح الرهبة فى فتح مكة:

وكانت أول خطوة فى هذا المجال أن الرسول فاجأ مكة بالزحف فلم تشعر إلا والمسلمون على مقربة منها .

وكانت الخطوة الثانية تتركز فى الاستعانة بالعباس عم الرسول ويقال إنه كان بمكة مسلماً يكتم إسلامه ، وقد جاء هذا إلى معسكر المسلمين كأنه يتعرف أمرهم بعد أن أحست مكة بالزحف .

أما الخطوة الثالثة فكانت مع أبى سفيان زعيم مكة ، فقد التقى به العباس وصاح فيه : ويحك يا أبا سفيان لقد خرج لكم رسول الله فى قوة لا تقهر ، وأخذه للرسول .

وتجيء الخطوة الرابعة عندما رفض الرسول مقابلة أبى سفيان ذلك المساء ، وطلب من عمه العباس أن يأخذه معه إلى رحلة حتى الصباح ، وكأنَّ الرسول كان يقصد أن يترك أبا سفيان ليلة فى الخوف والوساوس والذعر .

وفى لقاء الصباح آمن أبو سفيان ، ولكن الرسول لم يتركه يعود إلى مكة حتى شهد بنفسه موكب الجيوش الإسلامية ، فرأى أبو سفيان ما لم يخطر له ببال ، فلما انتهى العرض

العسكرى اللجب تُرك أبو سفيان ليعود إلى مكة ، وكان أبو سفيان هناك لساناً يحدث الناس عن الزحف الذى لا يستطيع أحد إيقافه فقتل كل أمل فى المقاومة .

انتصار المسلمين:

ودخلت جيوش المسلمين مكة من جهات أربع ، وكان خالد ابن الوليد من قادة الفتح ونادى منادى الرسول ﷺ : من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه عليه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن .

واستسلمت مكـة

نهاية الأصنام فى البيت الحرام:

وطاف المسلمون بالكعبة وأزالوا التماثيل والصور وحطَّموا الأصنام وهم يهتفون : **« جـاء الحق وزهق البـاطل إن الباطل كان زهوقا »**.

السلام والوئام بين الغالب والمغلوب:

هل عرف التاريخ جماعة غُلبت على أمرها وطُردت من ديارها ، فلما استطاعت العودة إلى الوطن لم تمتدَّ لهم يد ، ولم يحاولوا أن يأخذوا بثأر ؟

وهل عرف التاريخ عدوين يلتقيان بعد طول صراع مخضب بالدماء فلا يكون فى لقائهما شحناء ولا بغضاء ؟

إنها روح الإسلام ، وسيطرة القائد الأعلى على أتباعه ، ورحمته بمن كانوا بالأمس أعداءه ، فلقد اجتمعوا حوله حيث هتف فيهم : ما تظنون أني فاعل بكم ؟ قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

وكان هذا هو كل الحساب بين الجيش الزاحف من المدينة وبين أهل مكة المستسلمين .

بعد الفتح

هناك قضايا مهمة حدثت عقب الفتح ، نروى فيما يلى بعضها :

١ - تخوُّف الأنصار أن يبقى الرسول بمكة :

بعد فتح مكة قام الرسول على الصفا يدعو الله ويشكره ، وكان الأنصار يحيطون به ، فقال بعضهم لبعض بصوت منخفض : أترون رسول الله وقد فتح الله عليه أرضه ودياره يقيم بها ؟

وقد سمعهم الرسول ، فلما انتهى من دعائه التفت لهم وقال : لا ، المحيا محياكم والممات مماتكم ، ورجع معهم إلى المدينة وظل بها حتى توفى فيها .

٢ - إسلام عكرمة بن أبى جهل :

كان عكرمة يساعد أباه فى العدوان على المسلمين ، وبعد مقتل أبيه فى غزوة بدر استمر هو على العدوان ، فلما فتحت

مكة هرب تجاه اليمن ، وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث ابن هاشم واستأمنت له ، فعفا عنه الرسول فخرجت فى طلبه وأعادته إلى مكة ، ودخل الإسلام وأصبح من قادة المسلمين .

٣ - إسلام صفوان بن أمية :

عقب فتح مكة أسرع صفوان بن أمية بن خلف إلى « جدة » ليركب منها إلى اليمن ، فجاء عمير بن وهب إلى الرسول وقال له : يا نبى الله : صفوان بن أمية سيد قومه ، وقد خرج هارباً منك ليقذف نفسه فى البحر ، فأمِّنه يا رسول الله ، قال الرسول دون تردد : هو آمن .

قال عمير : أعطنى يا رسول الله آية له يعرف بها أمانك فأعطاه عمامته ، فخرج بها حتى أدركه وصاح به .

يا صفوان ، هذا أمان من رسول الله إليك ، أمان جاءك من أفضل الناس وأبرِّ الناس وأحلم الناس ، من عزُّه عزك وشرفُه شرفك .

قال صفوان : إنى أخافه على نفسى .

قال عمير : هو أحلم من ذلك وأكرم .

فرجع صفوان مع عمير إلى الرسول ، ودخلا عليه ، قال صفوان للرسول : إن هذا يزعم أنك قد أمنتنى .

قال الرسول : لقد صدق

قال صفوان : اجعلنى فى أمرى بالخيار مدة شهرين .

قال الرسول : أنت فى الخيار أربعة أشهر .

وبعد أيام قليلة بدأت صلات صفوان تتوثق بالرسول ، وبدأ إعجابه به يظهر ، ولم تمض إلا أيام قلائل حتى كان صفوان فى صفوف المسلمين فى موقعة حنين قبل أن يدخل الإسلام .

وفى هذه الموقعة زاد إعجاب صفوان بالرسول محارباً ومفاوضاً ، وأدرك سمو روحه وتصرفاته ، فأعلن دخوله الإسلام .

٤ - إسلام كعب بن زهير :

لما عاد الرسول من غزوة حنين والطائف كتب بجير بن أبى سلمى إلى أخيه كعب يحذره من استمراره على الشرك ، ويخبره أن بعض شعراء الهجائين قد هربوا فى كل وجه ، وأن الرسول لا يقتل أحداً جاءه تائباً .

فلما تلقى كعب كتاب أخيه ضاقت به الأرض وأشفق على نفسه ، وكان الإسلام قد غمر قلبه وخالط دمه ، فنظم قصيدة يمدح فيها الرسول ، ويذكر خوفه وإرجاف الوشاة به ، ودخل على الرسول وكان الرسول لا يعرف كعب بن زهير ، فقال الجهينى للرسول :

إن كعب بن زهير جاء تائباً مسلماً يطلب الأمان فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به ؟

قال الرسول صلوات الله عليه : نعم .

فتقدم كعب بن زهير وقال : أنا كعب بن زهير يا رسول الله ، وألقى قصيدته التى جاء فيها :

بانت سعاد فقلبى اليوم متبـــول
متيم أثرها لم يفد مكبـــــــول
وما سعاد غداة البين إذ رحلــــوا
إلا أغن غضيض الطرف مكحول
هيفاء مقبلة عجزاء مدبــــــــرة
لا يشتكى قصر منها ولا طـــول
نبئت أن رسول الله أوعدنـــــــى
والعفو عند رسول الله مأمـــول
إن الرسول لنور يستضاء بــــــه
مهند من سيوف الله مســـلول

فاستحسن الرسول قوله وقربه .

ونصر الله المسلمين فى هذه الجولة الخطيرة ، التى ما كانت لتتم على هذا النحو لولا عون الله للمسلمين فى هذا الشهر الميمون .

غزوة تبوك فى رمضان سنة ٩هـ

كانت غزوة تبوك وغزوة مؤتة قبلها ضد الروم ، ونريد أن نعرف هنا نقطة مهمة هى : من هم الروم بالنسبة للعرب ؟

والإجابة عن هذا السؤال يوضحها موقف لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فالتاريخ يروى أنه كان مرة نائماً ، فجاء أحد الصحابة لإيقاظه لأمر ما ، فهبَّ عمر من نومه مذعوراً وهو يقول : ما هو ؟ أجاءت غسان ؟

والغساسنة كانوا طائفة من العرب فى حماية الروم ، فإذا كان عمر يهب مذعوراً من احتمال هجوم الغساسنة ، فما بالك بالروم ؟

وكان عبد الرحمن بن عوف يقول عن الروم : إنها الروم وبنو الأصفر : حدٌّ حديد وبأس شديد .

وفى غزوة مؤتة عيَّن الرسول لقيادة جيش المسلمين ثلاثة أفراد ، يتولى الواحد منهم بعد الآخر ، وقد حدث هذا لأول مرة فى تاريخ الغزوات والسرايا ، وكان يدل علىٰ صعوبة المعركة وخطورة الصراع ضد الغساسنة حلفاء الروم ، وفوجىء جيش المسلمين بجحافل هائلة يقال إنها بلغت مائة ألف من الغساسنة ومن الروم ومن العرب المحيطين بهم الذين كانوا لا يزالون على الشرك ، وقتل الأمراء الثلاثة فى المعركة (زيد بن حارثة - فجعفر بن أبى طالب - فعبد الله بن رواحة) واختير خالد عقب

ذلك لقيادة جيش المسلمين ، فاحتال لينسحب بجيشه ليضمن له النجاة حتى تكون عُدةُ المسلمين أوفر للقاء الروم فى المستقبل .

وهذا يوضح لنا قوة الروم بالنسبة للعرب ، وخشية العرب من الروم ، وبخاصة أن الروم كانت لهم جيوش محترفة للأمور العسكرية ومتخصصة فيها ، وللروم كذلك عدة هائلة حاربوا بها الفرس عدة مئات من السنين ، ولجيشهم تدريبه الدقيق ونظمه الفائقة .

أما جيش المسلمين فكان فى حياة الرسول جيشاً يمكن أن نسميه جيشاً من الهواة الذين لم تكن الحروب صناعتهم وإنما كانوا يتجمعون عند المخاطر للدفاع عن النفس والبلاد .

جيشان فى تبوك:

ونصل فى هذا الجو إلى غزوة « تبوك » التى حدثت بعد « مؤتة » ويصف لنا التاريخ جيش الروم وجيش المسلمين : فعن جيش الروم تذكر المصادر أن الروم حسموا أمرهم ليتحملوا العبء فى مصارعة المسلمين ، فقد غاظهم أن خالد ابن الوليد احتال وخدعهم ونجا بجيش المسلمين فى مؤتة ، وكان يمكن القضاء على هذا الجيش ، ثم إن المسلمين بعد مؤتة حققوا مزيداً من الانتصارات فى الجزيرة العربية ، ففتحوا مكة ، وهزموا هوازن وثقيفا ، وأدرك الروم أن مسئوليتهم فى مصارعة المسلمين ضرورية ، فإنه لم يبق غيرهم يلتزم بمواجهة المسلمين إذ لم يعد هناك أى أمل فى أن يتولى العرب القضاء

على الإسلام ، ولا تقبل الروم أن تقوم بجوارهم دولة تنافسهم وتهدِّدهم ، وتهاجم الغساسنة حلفاءهم ، فجمعت الروم جموعاً كثيرة بالشام ، ورزق هرقل جنودَه أجر سنة مقدماً ، وأجلبت مع هرقل لخم وغسان وغيرهما .

ذلك هو جيش الروم، فماذا عن جيش المسلمين آنذاك؟

إن جيش المسلمين مجموعة من الأبطال ، ولكن الحق أن العربى مدرب على القتال تبعاً لوسائل الحرب فى الجزيرة العربية ، ثم إن الهزيمة التى لحقت بجيش مؤتة كانت لا تزال عالقة بالأذهان ، فخاف العرب من تكرارها ، والروم بلاد بعيدة عن عاصمة المسلمين والوصول إليها شاق عصيب يُتْعب المجاهد وينال منه ، ويجعله بعيداً عن مراكز التموين والإمدادات ، ثم إن الوقت كان شديد الحرارة ، وكان وقت حصاد ، وكل هذه الظروف جعلت الرسول ﷺ يعلن أصحابه قبل الخروج بهدفه حتى يستعدوا ، وكان من عادته أن يخرج بهم دون أن يخبرهم إلا بعد الخروج .

وهذه الظروف جعلت بعض المسلمين يتردَّدون فى الاستجابة لداعى الحرب ، وجعلت المنافقين يعلنون نفاقهم ويتخلَّفون عن ركب المجاهدين ، بل جعلتهم يحاولون تثبيط الهمم وإضعاف العزائم ، وكانوا يجتمعون فى بيت سويلم اليهودى ليدبِّروا هذه الأغراض ، وقد أورد القرآن الكريم ظروف هذه الغزوة فى آيات كثيرة من سورة التوبة نورد منها الآيات الآتية :

﴿ يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل ﴾[1]

﴿ لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم أنهم لكاذبون ﴾[2].

واستجاب عدد كبير من المسلمين على كل حال ، ومن هؤلاء الأبطال تكوَّن جيش المسلمين فى هذه الظروف الحرجة ، وقد سمى هذا الجيش « جيش العسرة » للصعوبات التى أحاطت بتكوينه وحظى أفراد هذا الجيش برضاء الله ، قال تعالى :

﴿لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة﴾[3].

الرعب فى قلوب الروم:

وزحف الجيش مستعداً للفداء ، وإن جل الفداء ، وكان تعداده ثلاثين ألفاً ، وقيل أربعين وقيل سبعين ، ولم يكن الروم ينتظرون أن يستجيب هذا العدد الضخم من المسلمين للحاق

(١) التوبة : ٣٨ . (٢) التوبة : ٤٢ . (٣) التوبة : ١١٧ .

بالجيش فى فترة الحصاد وزمن الحر القاسى ، ولذلك راعهم أن يقدم لهم هذا الجيش الكبير يقوده أبطال لا يعرفون الانهزام ، من أمثال أسيد بن حضير والحباب بن المنذر، وخالد ابن الوليد فأوقع الله فى قلوبهم الرعب ، ولذلك نجد جيش الروم يتقهقر ليتخذ مكانه داخل بلاده مدافعاً بعد أن كان يريد الهجوم .

ولم يرد الرسول أن يهاجم العدو بعد أن تقهقر ، فعسكر الرسول بجيشه عند تبوك حيث أرهب الأعداء ، وعمل بعض المعاهدات مع سكان الحدود بين الجزيرة العربية والشام ، وقد شملت هذه المعاهدات سكان تبوك وأيلة ، كما أرسل النبى خالد بن الوليد مع فريق من الجيش إلى دومة الجندل ، فخضعت له .

وهكذا يمكن القول : إن عون الله كان هو الفيصل الذى حقق النصر للمسلمين ضد القوة العاتية التى كانت كل الدلائل تشير إلى أنها ستكون لها الغلبة ، ويمكن القول كذلك : إن زحف المسلمين هكذا إلى تبوك كان له أثره فيما بعد فى المعارك التى فتحت الشام ومصر والشمال الإفريقى .

وشهد شهر رمضان سنة ٩هـ هذا النصر المبين .

موقعة البويب ضد الفرس سنة ١٣هـ

فى حديثنا السابق عن غزوة تبوك ضد الروم تساءلنا من هم الروم بالنسبة للعرب ؟

وكانت إجابة السؤال كبيرة الأهمية لأنها أطلعتنا على فزع العرب من الروم ، وبالتالى أبرزت لنا أن عون الله هو الذى حقق النجاح للمسلمين .

ونحن هنا نسأل نفس السؤال ؟

من هم الفرس بالنسبة للعرب ؟

والإجابة نأخذها من التاريخ ، فعندما زحف المثنى بن حارثة الشيبانى بجيش المسلمين لغزو الفرس أرسل له شهريران قائد الفرس رسالة يقول فيها :

إنى قد بعثت إليك جنداً من أهل فارس هم رعاة الدجاج والخنازير ، ولست أقاتلك إلا بهم .

وكأنَّ شهريران كان يعتقد أنه يكتب للعربى الذى عهده منزوياً ضعيفاً ، ونسى الحدث الأعظم الذى دخل على العربى فغيَّر من شأنه ، وخلق منه بطلاً مغوارا قدر له أن يحطم ملك القياصرة ويهدم عروش الأكاسرة ، ويفتح البلدان ، ويكوِّن الدولة الإسلامية الفسيحة ، وأن يقف أمام الجيوش المستعدة المزودة بالسلاح والمؤن ، وسلاحه الرئيسى هو الإيمان ، يضرب به فتفرق قلوب الرجال وتنخلع نفوس الأبطال ، ومما

يدل على ذلك ما قاله الهرمزان لعمر بن الخطاب معللاً ضعف العرب قبل الإسلام وقوتهم بعد الإسلام : يا عمر كنا وإياكم فى الجاهلية وقد خلّى الله بيننا وبينكم فغلبناكم، إذ لم يكن معنا ولا معكم فلما كان معكم غلبتمونا .

وهناك تشابه آخر بين غزوة تبوك ضد الروم وموقعة البويب ضد الفرس التى سنتكلم عنها ، ذلك أن كلا منهما سبقتها موقعة غُلب فيها المسلمون ، فغزوة تبوك جاءت بعد غزوة مؤتة وموقعة البويب التى سنتكلم عنها جاءت بعد موقعة الجسر التى هزم فيها المسلمون وقتل قائدهم أبو عبيد ابن مسعود ، وكان هذا الوضع داعياً إلى نوع من الخوف أو الخور، ولكن عون الله فى رمضان غير الميزان تماماً كما سنرى.

بعد وفاة أبى عبيد بن مسعود ونائبه سلط بن قيس الأنصارى فى موقعة الجسر أصبح المثنى بن حارثة رئيس الجيش الإسلامى ، وأحس أن من واجبه أن يثأر لهؤلاء الشهداء الذين سقطوا فى موقعة الجسر ، واستعداداً لذلك تراجع بجنوده ليستعد فى مكان صحراوى بعيد عن متناول الفرس ، وأرسل إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه يطلب مدداً ، فاستجاب له الخليفة وأرسل له عدداً من المجاهدين الأبطال برياسة جرير البجلى .

واتجه المثنى كذلك إلى نصارى العرب الذين كانوا يسكنون حول المكان الذى عسكر فيه المثنى ، وكان هؤلاء العرب يرون فى انتصار الفرس على المسلمين العرب خطراً عليهم ، فالفرس

مجوس وهم بالتالى ضد كل الأديان ، ثم إن الدم العربى بما يحويه من عادات وقيم كان دافعاً لنصارى العرب ليتعاونوا مع المسلمين ضد العدو المشترك الذى طالما اعتدى على العرب وحاول سلب حرياتهم .

وبانضمام نصارى العرب للمثنى ، ووصول المدد الذى أرسله الخليفة ، كمل استعداد جيش المسلمين ، وبدأت المواجهة ، وكان جيش الفرس بقيادة قائد اسمه مهران مما جعل هذه المعركة تسمى فى بعض المراجع « يوم مهران » .

اللقاء والمعركة:

وكان نهر الفرات يمتدُّ حاجزاً بين الجيشين ، فصرخ مهران فى جيش المسلمين : أن اعبروا لنا لنلتقى ، وتذكر المثنى آنذاك ما حدث يوم الجسر ، إذ استجاب القائد أبو عبيد لمثل هذا النداء وعبر بجنوده فحاقت عليه الهزيمة ، ولهذا رد المثنى على مهران قائلاً : بل اعبروا أنتم لنا .

وبدأ جيش الفرس عبوره ، ولكن سهام المسلمين تلقت العابرين ، ومن نجا منهم واجهه المسلمون بالسيوف والخناجر ، وقفز المثنى تجاه قائد الفرس فتمكن منه وضربه ضربة قوية ثم حمل عليه غلام نصرانى من بنى تغلب فقضى عليه وركب فرسه .

وعقب ذلك تقهقر الفرس ، وأداروا ظهورهم لميدان المعركة ، واتجهوا للهرب ، فركب المسلمون أكتافهم ، وقتلوا منهم عدداً كبيراً وأسرع المثنى إلى الجسر ليمنع الهاربين من عبوره حتى يتمكن منهم المسلمون .

ومالت الشمس نحو الغروب فهدأ القتال ، ولكن مع الحذر الشديد مخافة أن يتجمع شمل الباقين من جيش الفرس ، أو أن يأتي لهم مدد جديد ، وعندما أشرق الصبح عاد النشاط للمعركة فقضى المسلمون على من كان لا يزال حياً من الفرس ، وبذلك فنى الجيش عن آخره بين قتيل وجريح ، وأسير ، وكان هذا الجيش يتكوَّن من حوالى مائة ألف مقاتل ، وكانت هذه المعركة فاتحة لانتصارات هائلة حدثت فى القادسية والمدائن ونهاوند .

معركة أذلَّت رقاب الفرس:

ويقول ابن كثير (البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٣١) : « لقد ذلَّت بهذه المعركة رقاب الفرس ، وهى بالعراق نظير اليرموك بالشام » .

أثر الإسلام فى قوة العرب:

ويروى أن المثنى بعد المعركة قال : والله لقد قاتلت ضد العرب والعجم فى الجاهلية والإسلام ، والله لقد كان مائة من العجم يغلبون ألفاً من العرب ، ولكن مائة من العرب الآن يغلبون ألفاً من العجم ، لقد غيَّر الإسلام كل شىء .

وفى هذه المعركة قال الأعور العبدى قصيدة طويلة يمدح بها المثنى ومنها :

سما لمهران والجيش الذى معه ** حتى أبادهم مثنى وحداناً

وهكذا حقق الله النصر للمسلمين فى رمضان ، وفتح لهم باباً لم يقفل ضد أعداء الله من المجوس .

فتح جزيرة رودس فى
رمضان سنة ٥٣ هـ

اتجه معاوية بن أبى سفيان إلى عمل كبير هو إسقاط العاصمة البيزنطية « القسطنطينية » فأعد لذلك عدة هائلة لتحقيق هذا الأمل الخطير ، وكانت هذه العدة تشمل ثلاثمائة مركب ثقيلة عليها أسلحة وبخاصة من المنجنيقات ، وكل مركب منها تحمل ألف رجل ، كما تشمل خمسمائة مركب خفيفة تحمل كل مركب مائة جندى .

وحرص معاوية على أن يسيطر على جزر البحر المتوسط لتأمين أسطوله الزاحف للقسطنطينية ولم يكن المسلمون قد احتلوا حتى عهد معاوية غير جزيرة قبرص ، فاتجه معاوية لاحتلال جزر أخرى حتى يضمن الأمان لأسطوله من جانب ، وحتى تكون هذه الجزر محطات تموين للأسطول من جانب آخر ، وكانت « رودس » أول جزيرة شديدة الأهمية للمسلمين اذ تقع قرب ساحل آسيا الصغرى ، وكان الروم يغيرون منها على مراكب المسلمين ومُدنهم الساحلية ، وعندما احتل المسلمون هذه الجزيرة أسرع معاوية فأنزل بها أُسراً إسلامية ورتب لهم العطاء ، وأصبحت جزيرة رودس قاعدة هامة للبحرية الإسلامية فكانت مركز اطمئنان لقوات المسلمين

ومركز ذعر لقوات الأعداء ، وقد ساعدت كثيراً على الاستيلاء على جزر أخرى بالبحر المتوسط ، وبالتالى على حصار القسطنطينية .

وهكذا كان فتح رودس والاستيلاء عليها خطوة مهمة لدعم القوات الإسلامية والنكاية بالقوات البيزنطية ، التى كانت تَعُدُّ البحر المتوسط بحيرة تابعة لها ، وقد انتهى هذا الادعاء بالزحف الإسلامى فى البر والبحر الذى شهد رمضان المعظم بعض مآثره .

انتصار المسلمين بالأندلس

فى رمضان سنة ٩٢هـ

فى الخامس من رمضان سنة ٩١هـ بدأ طارق بن زياد زحفه إلى أسبانيا ، وفى ٢٥ رمضان سنة ٩٢هـ زحف موسى ابن نصير فاكمل ما ابتدأه طارق ، وسنبدأ السيرة من أولها .

فى مطلع عهد الدولة الأموية استطاعت جيوش المسلمين بقيادة عقبة بن نافع أن تطرد الروم من الشمال الأفريقى ، وأن تصل إلى المحيط الأطلسى ، وهناك لم يَرَ " عقبة " إلا بحراً هائلاً وأمواجاً صاخبة ، وحسب أنه ليس خلف البحر عالم آخر وناس يعيشون ، فصرخ : يارب لو أعلم أن خلف هذا البحر ناساً يعيشون لخضته إليهم ، لأقدم لهم دين الإسلام .

وجاء موسى بن نصير بعد عقبة ، ولكن موسى فى مسيرته لم يتجه للجنوب الغربى ، بل اتجه إلى الشمال ، ورأى أوروبا عبر مضيق جبل طارق ، فعزم على أن يعبر هذا المضيق ، وينشر الإسلام خلفه .

أسباب زحف المسلمين على أسبانيا :

كان سكان أسبانيا يحكمون مناطق من إفريقيا أشهرها مدينة سبتة وقد استولى عليها المسلمون ونزل سكان أسبانيا لذلك فى صراع مع المسلمين .

ثم إن سكان أسبانيا قدموا عوناً كبيراً للروم الذين كانوا يحتلون قرطاجنة وسواها من مدن الساحل الإفريقى رجاء أن ينتصر الروم فى نضالهم ضد المسلمين ، واتخذت هذه المعونة صبغة الحروب الدينية ، فقد كان أفرادها يحملون الصليب .

وقام أهل الأندلس كذلك بعدة غارات على سواحل إفريقيا التى كانت قد استولى عليها المسلمون ، وكل هذه الأسباب ألزمت المسلمين أن يتخطوا المضيق إلى ما وراءه .

مواجهة أوروبا لأول مرة:

ودخول المسلمين أسبانيا لون " جديد " من الحرب بالنسبة للمسلمين ، إنه اقتحام لأوروبا ، وزحف على هذه القارة التى كان الإسلام لم يدخلها بعد ، وهى قارة تحتضن المسيحية منذ ظهرت المسيحية ، وبها البابا الممثل الأعظم للسيد المسيح عليه السلام ، ووقفتها المتعصبة ضد الإسلام والمسلمين كانت وقفة شهيرة .

وأوروبا كانت تعيش فى حروب شبه متصلة ، بسبب نظام الإقطاع بها ، ونظام الإقطاع استلزم حروباً كثيرة ، وبالتالى أنتج بطولات واستعدادات عسكرية هائلة ، وعلى هذا فاقتحام أوروبا كان عملاً خطيراً . ولكن هذا كله لم يقلل من عزيمة المسلمين ، بل حزموا أمرهم فى شهرى رمضان سنة ٩١هـ و٩٢هـ على هذه الخطوة الجديدة الجريئة .

واستشار موسى بن نصير الوليد بن عبد الملك خليفة المسلمين ، ونقل له الأسباب التى تدعو لغزو الأندلس وهوَّن

عليه أمرها ، فوافق الخليفة على الغزو .

وهناك أبطال ثلاثة قادوا جيوش المسلمين الزاحفة على أسبانيا هم : طريف بن مالك وطارق بن زياد ، وموسى ابن نصير نفسه .

دور طريف:

وكان طريف بن مالك أول هؤلاء الأبطال ، وكان زحفه بمثابة كشف وارتياد واستطلاع ، فقد عبر المضيق على رأس خمسمائة من الخيالة والرجَّالة ، تحملهم أربع سفن من سفن جوليان حاكم " سبته " من قبل القوط حكام أسبانيا ، وكان هذا على خلاف مع " لذريق " (روديجو) ملك أسبانيا ، فساعد المسلمين ليقتحموا الأرض الخضراء ، وكان ذلك فى "رمضان سنة ٩١هـ ولم يجد طريف مقاومةً تذكر ، وعاد بغنائم كثيرة يشجع موسى بن نصير أمير القيروان على التقدم نحو الأرض الخضراء ، ولا تزال الجزيرة التى غزاها طريف فى جنوبى أسبانيا تحمل اسمه .

دور طارق بن زياد:

ودفع هذا النجاح أمير القيروان موسى بن نصير إلى عمل حاسم يقصد به الاستقرار فى الأندلس ، بعد أن ارتاد طريف له الطريق ، فاختار لهذا العمل العظيم البطل الكبير " طارق بن زياد " ، وقد سار طارق على رأس جيش قوامه سبعة آلاف من المسلمين ، وعبر المضيق على سفن أعدها له جوليان حاكم سبته ، كما أعد لطريف من قبل ، وعبر طارق المضيق

ونزل بجيشه على جبل يعرف باسمه حتى الآن وهو جبل طارق وهناك أعد طارق جيشه للزحف على هذه الجزيرة الشاسعة العامرة ، ويروى أنه حرّقَ سفنه ليقطع على أصحابه أى أمل فى العودة أو الهرب إلى الساحل الإفريقى ، وألقى خطابه الشهير :

" أيها الناس ، أين المفر ، البحر من ورائكم ، والعدو من أمامكم ، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر " .

وأنا أميل إلى تصديق الخطاب ولكنى لا أميل إلى تصديق الرواية القائلة إن طارق أحرق سفنه ، وأعتقد أن مصدرها هو قوله : " البحر من ورائكم " ففهم الرواة أنه أحرق سفنه ، ولم يبق لأصحابه سبيل إلى الهرب .

ولا داعى لهذا الفهم ، فوجود السفن لا ينفى أن البحر وراءهم ، ولا تضمن السفن لهم النجاة ، وقد يكون طارق قد أعاد السفن لأصحابها بالساحل الإفريقى .

وعرف لذريق ملك القوط ويسميه الطبرى الادريتوق (رود ريجو) خبر غزو المسلمين لبلاده فأعد جيشاً كثيفاً قيل إنه بلغ مائة ألف نسمة وقاده بنفسه ، وأرسل طارق إلى موسى يطلب مدداً فأرسل له خمسة آلاف ، وتقابل الجيشان فى وادى بكة ، أو لكة ، وكان الفرق فى العدد كبيراً ، وكذلك الفرق فى العتاد ، ولكن جيش القوط كان من العبيد والمستضعفين وكان به أعداء كثيرون للذريق .

وحمل طارق بجيشه المتحد المؤمن المتعاون على جيش العدو ففرقه ومزقه ، واختفى لذريق فلم يعثر له على أثر ، وتشتت جيشه ، وكان هذا فى رمضان ٩٢هـ . وكان قتل الملك واندحار

جيشه في المعركة الأولى مما ثبط الهمم ويسَّر فتح الأندلس على المسلمين ويقول : ستانلى لين بول

إن انتصار المسلمين في وادى لكة ألقى أسبانيا كلها في أيدى المسلمين ولم يكن طارق بحاجة إلا إلى القليل من الجهد ليقضى على المقاومة الضئيلة في بعض المدن .

وسار طارق يفتح المدن ويبسط عليها سلطانه ، فاستولى على غرناطة وقرطبة وطليطلة عاصمة البلاد .

دور موسى بن نصير:

وأدرك موسى بن نصير أن الجبهة اتسعت أمام طارق ابن زياد ، وأراد كذلك أن يكون له شرف الاشتراك الفعلى في فتح هذه البلاد الخصبة ، فقاد جيشاً كبيراً عبر به المضيق واتجه إلى مدينة حصينة اسمها قرمونة ففتحها ، ثم فتح إشبيلية عاصمة أسبانيا قبل غزو القوط لها وسار حيث التقى بطارق في طليطلة .

ولا يكاد الإنسان يصدق الرواية التي تصور عداء وسخطاً بين موسى بن نصير وبين طارق وتصوِّر موسى معتدياً على طارق ومؤنباً له . فكل الحقائق التي بين أيدينا تدلُّ على تعاون الاثنين ، فقد أمد موسى طارق بالمدد ، ثم جاء بنفسه وفتح بعض البلاد التي كانت خلف جيوش طارق ، فأمَّن الجيوش من أن تضرب من الخلف ، وسار البطلان بعد ذلك متعاونين ، يفتحان باقى البلاد حتى تم لهما النصر ، فكيف يكون ذلك مع عداء واعتداء ؟ .

وهكذا كان رمضان ومضة نور في فتح بلاد الأندلس .

وقفة لصلاح الدين الأيوبى

ضد الصليبيين

فى رمضان سنة ٥٨٤هـ

وفى الجزء الخامس من « موسوعة التاريخ الإسلامى » وضَّحنا الجهود العظيمة التى قام بها صلاح الدين الأيوبى ضد الصليبيين فى موقعة « حطين » التى قضى فيها صلاح الدين على الجيش الصليبى قضاء تاماً سنة ٥٨٣هـ - ١١٨٧م ، ثم عن تحرير بيت المقدس وشرحنا الحصار الذى فرضه صلاح الدين حولها ، والهجمات القوية التى قام بها جيشه مما أرغم الصليبيين على الاستسلام ، فاستعاد صلاح الدين بيت المقدس للمسلمين ، وعادت خلال ذلك إلى السلطة الإسلامية أكثر البلاد التى كانت قد استولى عليها الصليبيون .

ودخل شهر رمضان بعد ذلك ، وأشار رجال صلاح الدين عليه أن يستريح خلال هذا الشهر مما لاقاه من جهد ، وأن يتفرغ للعبادة ولكنه قال :

إن العمر قصير ، والأجل غير مأمون ، والسماح للمغتصبين بالبقاء فى الأرض الإسلامية يوماً واحداً مع القدرة على

استخلاص الأرض منهم ، عمل منكر لا أستطيع حمل مسئوليته أمام الله وأمام الناس .

وواصل صلاح الدين نشاطه خلال رمضان ففتح الله عليه ، وأسقط مجموعة من الحصون كان يعتصم بها المعتدون ، فهدَّ ذلك كيانهم ، وأضعف همتهم مما جعلهم يتجهون للأفول بعد ذلـك .

وهكذا مع جهود صلاح الدين الواسعة حقق الله سبحانه وتعالى صورة من النجاح لهذا البطل فى هذا الشهر الكريم .

عين جالوت بين المصريين والمغول

فى رمضان سنة ٦٥٨هـ

حدثت موقعة عين جالوت بين المغول والجيش المصرى فى ١٥ رمضان سنة ٦٥٨هـ .

والحديث عن عين جالوت يستلزم أن نعود للوراء قبل هذه الموقعة .

كان المغول قبائل همجية وحشية تتنقل فى الهضبة الآسيوية الشاسعة التى تمتد من أطراف الصين إلى أواسط أسيا ، باحثين عن الرزق والمراعى ، ويبدو أن المراعى الحرة التى لا يملكها أحد لم تَفِ بحاجتهم . فعمدوا إلى الاستيلاء على المراعى والمزارع المملوكة للآخرين ، بل أخذوا يعتدون على أصحاب هذه المراعى ، ويسلبون أمتعتهم وممتلكاتهم فقد كان العدوان والنهب طبيعة فيهم .

هذا مظهر من مظاهر حياة المغول فى حركاتهم الأولى ، ومظهر أخر منهم أنهم كانوا مدمِّرين يأتون على كل ما يقابلهم من مظاهر الحضارة ، فقد كانوا يرون الحضارة وسيلة للقضاء عليهم ، فأخذوا يهدمون المبانى ويحرقون الكتب ، ويقتلون المفكرين والعلماء .

جنكيزخان:

وفى أوائل القرن الثالث عشر الميلادى استطاع «جنكيزخان» أحد زعماء هذه القبائل أن يكوِّن منها وحدة أصبحت آنذاك خطراً على الحضارة الإنسانية ، وقُدِّر له النجاح ، فبسط سلطانه على بلاد خوارزم وبلاد ما وراء النهر ، وعلى خراسان وأجزاء من بلاد فارس والصين والهند ، وعلى جزء كبير من أراضى روسيا الجنوبية ، وتوفى جنكيزخان سنة ٦٢٤هـ بعد أن سيطر المغول على أرض تمتد من البحر الأصفر إلى البحر الأسود ، وكانت تضم بلاداً وقبائل تنتمى إلى الصين والأفغان وإيران والترك .

تُولُوى خان وهولاكو:

واقتسم أولاد جنكيزخان هذا الملك الواسع ، واستطاع هذا الجيل أن يضيف لفتوحات المغول روسيا وبولندا والمجر ووصل إلى أبواب « فيينا » وكانت الأرض الإسلامية حتى إيران من نصيب « تولوىخان » ابن جنكيزخان ووالد هولاكو ، وآلت السلطة على هذه المنطقة إلى هولاكو الذى زحف بجيوشه الجرارة حتى وصل بها بغداد عاصمة الخلافة العباسية وقبض على الخليفة وأباح العاصمة لرجاله مدة أربعة أيام ، ثم قتل الخليفة نفسه ، وكثيراً من أفراد أسرته ، وزالت بذلك الخلافة العباسية من بغداد سنة ٦٥٦هـ (١٢٥٨م) .

ومن بغداد زحف هولاكو إلى الشام ، فاحتل « حلب » وأعمل السيف فى خمسين ألفاً من سكانها ، ثم احتل حماة ودمشق ، ولاقى المسلمون فى دمشق وغيرها من مدن الشام ألواناً من الذلة ، وأظهر المسيحيون الشرقيون التشفى فيهم والانتقام منهم ، فسارت مواكبهم تحمل الصلبان ، وألزموا المسلمين القيام لهذه المواكب واحترام هذه الصلبان ، ومما ساعد على ذلك أن « كيتوبوفا » نائب هولاكو كان مسيحياً متعصباً ومغولياً شديد القسوة على المسلمين .

وعقب احتلال دمشق تقدم المغول بسرعة فاحتلوا نابلس وأصبحوا بذلك بالقرب من حدود مصر ، وأرسل هولاكو إلى « قطز » سلطان مصر رسالة قاسية يهدِّد فيها ويتوعد ، ومما جاء فيها قوله :

سمعتم أننا قد فتحنا البلاد ، وقتلنا معظم العباد، فعليكم بالهرب ، وعلينا الطلب ولكن أى أرض تؤويكم ، وأى بلاد تحميكم ؟ خيولنا سوابق ، وسيوفنا صواعق ، وقلوبنا كالجبال ، وعددنا كالرمال .

وتلقت مصر هذه الرسالة ، ودار حولها نقاش ، وكان معنى الاستسلام أن يضيع العالم الإسلامى ، إذ لم يكن قد بقى أمل إلا فى مصر بعد سقوط العديد من بلاد الإسلام تحت سلطان المغول ، وأحست مصر بمسئوليتها تجاه الإسلام والمسلمين ، مع ما فى ذلك من مخاطرة ولم يكن من الممكن الاتفاق مع المغول ،

فقد عُرف هؤلاء بنقض العهود ، والقضاء على المسلمين ، ولم تبق إلا المواجهة ، وعلى هذا الاتجاه اتفق السلطان قطز وأمير الأمراء قائد الجيوش « بيبرس » وكل القادة المصريين ، وتنفيذاً لذلك صدرت الأوامر بقتل سفراء المغول الذين حملوا التهديد ، وكان ذلك إيذاناً بقيام الحرب .

ولم يقتنع الجيش المصرى بموقف الدفاع من داخل الحصون ، ذلك النظام الذى كان يلجأ له الأمراء فى البلاد المختلفة التى هاجمها المغول ، فقد كان ذلك يتيح للمغول أن يسحقوا الحصون ويدفنوا أعداءهم فى حصونهم ، أو أن يتركوهم فى الحصون حتى ينضب الزاد والعتاد فيستسلموا ويواجهوا الموت عقب الاستسلام ، وتحاشياً لذلك لجأ المصريون للهجوم ، فزحف « بيبرس » واقتحم غزة ، وقضى على حاميتها ، ثم زحف قطز بجزء آخر من الجيش ليتعاون مع « بيبرس » .

وجاءت بعد ذلك موقعة عين جالوت ، ومكانها بين بيسان ونابلس ، وهى معركة من أخطر معارك التاريخ ، فقد اتجه إليها « كيتوبوغا » مُزمجراً عندما وصلته الأنباء عن اندحار جيشه فى غزة ، واتجه لها كذلك جيش مصر اللجب وكان اللقاء فى يوم ١٥ رمضان سنة ٦٥٨هـ ، وقد أعدَّ قطز خطته للمعركة إعداداً عبقرياً ، فقدَّم بعض جيشه بقيادة « بيبرس » ، وعندما حميت المعمعة برز قطز من مكمنه فأحاط بجيش المغول ، وكانت معركة هائلة بدأت من الفجر وظلت حتى منتصف النهار ، ويقال إن « قطز » أحس باضطراب فى جيشه والمعركة

تدور فخلع خوذته استعداداً للموت ، وألقاها على الأرض وصرخ : وا إسلاماه ، واندفع يضرب فى استماتة وقوة حتى هزم المغول هزيمة كاملة وسقط جيش المغول كله بين قتيل وأسير وجريح ، ولما اتضح النصر للمصريين عرض بعض المغول على قائدهم أن يهرب بحياته ولكنه رفض وظل يصارع وحده حتى سقط جواده فأخذ القائد أسيراً ، وعندما وقف بين يدى قطز أطلق لسانه بكلمات قذف وتهديد ، فصدر الأمر بالقضاء عليه .

انتصارات أخرى بعد عين جالوت:

ولم يُشغل بيبرس - وقد آل له سلطان مصر - بالنصر الذى أحرزه مع قطز فى عين جالوت بل إنه لاحق المغول تجاه الشمال حتى أوقع بهم هزيمة أخرى فى قيسارية (قيصرية) بآسيا الصغرى ، واسترد بذلك مملكة الروم السلجوق التى كان المغول قد استولوا عليها .

ولم يكن النصر فى عين جالوت وما بعدها مصادفة ، إذ تكرر هذا النصر عدة مرات ، فقد أعد المغول عدتهم من جديد للزحف على مصر والشام ، ولكن شعبنا العظيم كان يصدهم وينزل بهم هزيمة إثر هزيمة ، ففى عهد الناصر أغار المغول على دمشق واحتلوها ، ولكن الناصر أعد لهم جيشاً ضخماً والتقى بهم بالقرب من دمشق فى موقعة « عين صقر » فأوقع بهم هزيمة كبرى ، وأسر منهم عشرة آلاف جندى ، واستعاد دمشق .

وأدرك المغول صعوبة انتصارهم على مصر ، فعقدوا مع سلاطين مصر صلحاً سنة ٧٢٢هـ (١٣٢٢م) وعاشت مصر بعد ذلك فى مأمن من غارات المغول .

وكان المغول يعلِّلون هزائمهم أمام المصريين بأن المصريين لديهم سيف الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، ومن يضربْ بهذا السيف لا تعرفه الهزيمة .

الظاهر بيبرس يسترد
إمارة أنطاكية من الصليبيين
فى رمضان سنة ٦٦٦هـ

هناك مجموعة من الأبطال المسلمين تصدوا للصليبيين جيلاً بعد جيل ، وكان كل منهم يقوم بدوره على خير وجه ، فيدمر جانباً من جوانب هذه القوة الطاغية ويدع لغيره أن يتولى الأمر من بعده ، وكان أول من أنزل بهم الهزائم عماد الدين زنكى ، ثم جاء بعده ابنه نور الدين ، ثم البطل صلاح الدين الأيوبى ، الذى تعمقت ضرباته فى مقاتلهم ، فاسترد بيت المقدس وتركهم يترنحون .

وجاء بعده الظاهر بيبرس الذى كان سلطاناً لمصر (١٢٦٠-١٢٧٧م) وقد أخذ الزمام بعد صلاح الدين وأخذ يستولى على ما تبقى من معاقلهم ، أرسوف ثم صفر ويافا وحصين الكرك ، وكل هذا مهد للمعركة الكبرى ، المعركة التى أسقط بها إمارة أنطاكية .

وقبل أن نتحدث عن إسقاط إمارة أنطاكية يجدر بنا أن نذكر شيئاً يدعو للغبطة ، فإن السلطان الظاهر بيبرس عندما استولى على قلعة « صفر » أعاد بناءها بعد أن كانت قد دمرتها أسلحته ، وكتب على الجدران عبارة تصوِّر مدى سروره بانتصاره على الصليبيين فيها وهذه العبارة هي :

عماد الدين الظاهر بيبرس الذى حول الكنائس إلى مساجد ، ورنين النواقيس إلى أصوات المؤذنين والهمهمة بالأناجيل إلى ترتيل بالقرآن .

أهمية أنطاكية ونهايتها:

وجاء دور أنطاكية ، وقد هيأت له الانتصارات السابقة أن يوجه ضربة شديدة ضد هذه الإمارة التى كانت قد أصبحت أقوى الإمارات الصليبية الباقية بالشام ، إذ كانت تتلقى إمدادات من أوروبا ، ثم لأنها كانت قد عقدت معاهدة حربية مع المغول ضد المسلمين ، وقد حاصرها الظاهر بيبرس ، واستنفد حصارُها جهداً كبيراً ووقتاً طويلاً ، ولكن بيبرس تغلب عليها فى النهاية ، بعد أن أحال مدنها أطلالاً ، وكان لسقوطها صدى ضخم ، إذ أدركت الجيوب الباقية للصليبيين عدم استطاعتها البقاء فى وجه المصريين ، فطلبت عقد صلح مع السلطان بيبرس وكان ذلك الصلح بمثابة راحة واستعداد لجولات أخرى قام بها السلاطين المصريون بعد بيبرس .

ومما يذكر لبيبرس أنه كان يستعمل الرعب النفسى ليقلق أعداءه بالإضافة إلى قوته العسكرية ومن ذلك أنه كتب إلى

« بوهيمند » أمير أنطاكية ، وكان هذا عند سقوط إمارته موجوداً فى طرابلس ، فأراد الظاهر أن يدمِّر نفسيته حتى لا يفكر فى استرداد إمارته ، فكتب له خطاباً طويلاً جاء فيه :

نزلنا أنطاكية فى مستهل رمضان وخرج عساكرك للمبارزة فكُسِروا ، وتناصروا فما نصروا ، وفتحناها فى الرابع من رمضان ، وقتلنا كل من اخترته لحفظها والدفاع عنها ، فلو رأيت خيالتك وهم صرعى تحت أرجل الخيول ، وديارك والنهاية فيها تصول ، وأموالك وهى توزن بالقنطار ، وجواريك وكل أربع منهن تبعن بدينار ، ولو رأيت كنائسك وصلبانها وقد كُسرت وقبور البطارقة وقد بعثرت .. لتيقنت أن قوة الله أعادت أنطاكية إلى أهلها إلى الأبد ، وتركتك بدون عون أو مدد .

وبالإضافة إلى البلاد التى فتحها الظاهر بيبرس كانت هجماته هنا وهناك لا تنقطع ، فلم يخْلُ يوم من أيامه من ضربة للصليبيين وتدمير لسلطانهم ، وكان أحياناً ينال النصر كاملاً ، وأحياناً يثير الخوف والرعب ، تمهيداً لهجوم آخر تكون فيه نهاية أعدائه ، وقد وصف الظاهر بيبرس هذه السياسة بقوله :

أجىء عاماً لأرعى زرعكم وأخرِّب دياركم ، ثم أعود فى العام التالى لآخذ أرواحكم .

مصر والصهاينة فى العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣هـ

عهد «مظلم» انتصرت فيه إسرائيل سنة ١٩٦٧م:

فى فترة مظلمة من تاريخنا الحديث هاجمت إسرائيل مصر فى يونيو سنة ١٩٦٧م وحققت نصرا سريعاً ، لا لضعف فى جيش مصر ، ولكن لاضطراب القيادة التى كانت قد وجهت كل سطوتها ضد المواطنين ، والتى لم تستطع أن تجيد الإعداد والتنفيذ ، وكانت هذه القيادة قبيل الهزيمة قد دفعت بجيش مصر إلى سيناء ، معتقدة أن ذلك سيُدخل الذعر فى قلوب قادة العالم ، وسيترتب على ذلك أن يتدخلوا لإرغام إسرائيل على تحقيق مطالب مصر .

ولكن إسرائيل انتهزت هذه الفرصة وقامت بعدوان خاطف حقق لها النصر ، وقد أحدث الانتصار الإسرائيلى جرحاً غائراً فى قلب كل عربى وكل مسلم .

كانت إسرائيل تخاف مصر:

وانتهزت إسرائيل فرصة هذه الهزيمة فراحت تدَّعى أن يدها طويلة ، وأنها تستطيع أن تضرب هنا وهناك ، وأنها لا تخاف مصر ولا العرب .

بيد أن الباحث المتعمق يرى دلائل كثيرة تؤكد أن إسرائيل كانت تحسب لمصر ألف حساب ، وأن قلبها كان يرتجف بدليل أنها وضعت حواجز خطيرة فى طريق الجيش المصرى .

كان هناك الحاجز المائى المتمثل فى قناة السويس والذى كان عبوره يعد مشكلة أمام أى جيش .

ثم كانت هناك مادة « النابالم » الذى يلتهب إذا اتصل بالماء وقد وضعت إسرائيل مقادير هائلة من هذه المادة لتطلقها بواسطة أنابيب عند اللزوم إلى ماء القناة .

ثم كان هناك السد الترابى الهائل الذى وضعته إسرائيل على الضفة الشرقية للقناة .

وأخيراً كان هناك خط « بارليف » المنيع المزود بأحدث المعدات ، والذى كان يمتد على طول الساحل الشرقى للقناة .

وكل هذه الاستعدادات توضح خوف إسرائيل من مصر .

عصر النور:

هذا هو دور إسرائيل خلال الفترة التى أعقبت الهزيمة ، أما عن مصر فقد جاءها خلال هذه الفترة عصر جديد هو عصر « أنور السادات » وفى هذا العصر استيقظت مصر من سباتها

وبدأ إعداد هائل للأخذ بالثأر ، وبذل أنور السادات وقواد الجيش المصرى جهودا جبارة للتسليح والإعداد والتدريب ، وكان الجرح يدفع الجندى والمدنى للعمل الجاد رجاء أن نحقق النصر ، وفى العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣ هـ اندفع جيش مصر إلى سيناء ، وكأن كل شىء هناك كان على موعد مع الزحف المصرى ، وكأن الأرض كانت تنتظر أقدام بنيها المصريين لتتشبث بها وترحب بخطواتها .

وقد نالت هذه الحرب عناية المؤلفين المصريين والعرب والأجانب ، لأنها كانت علامة بارزة فى تاريخ الحروب ، ولأنها غيرت خطط الحرب فى العالم ، بعد أن استطاع الجيش المصرى أن يتخطى كل هذه العقبات التى أشرنا إليها بنجاح هائل ، وكان من دواعى الشرف أننى كنت واحدا من الذين كتبوا عنها ، واقتبسوا الآراء حولها ، وهناك مؤلفون عسكريون عنوا بها عناية كبيرة ، ومن كل هذه المؤلفات نقتبس فيما يلى بعض فقرات توضح معالم هذه الحرب ، وسنهتم بأقوال العسكريين الإسرائيليين الذين أصابهم الهلع بسبب الزحف المصرى الذى كان بعيدا عن توقعاتهم ، والذى لم تجد معه الاحتياطات الكثيفة التى أشرنا لها ، والتى أعدها العدو فى سيناء .

صور من جهود مصر:

وأول ما نذكره عن هذه الحرب والاستعداد لها أن السلطات المصرية نجحت فى تحقيق المفاجأة ، وخدعت إسرائيل وضللتها ، فلم تستطع ومعها المخابرات الأمريكية أن تتأكد من عزم مصر على الهجوم .

وموضوع مادة النابالم الذى أشرنا له من قبل استطاع السلاح المصرى أن يبطل استعماله ، فقد قامت وحدات الصاعقة بسدِّ أنابيب النابالم وتخريبها قبل بدء الهجوم بليلة واحدة ، فلما حاول العدو استعمالها فوجىء بنهايتها .

وكان الإسرائيليون يبالغون فى تقدير خط « بارليف » وقد أعلن موشى ديان أن اقتحام خط بارليف والتغلُّب عليه إنما هو أمر يتجاوز قدرة المصريين ، ويحتاج إلى مهندسى الجيشين السوفييتى والأمريكى معاً .

يوم الهول وخطوات الزحف:

وجاء يوم العاشر من رمضان ، أو يوم الهول كما سماه بعض اليهود ، وبعد منتصف النهار بقليل انطلقت أكثر من مائتى طائرة مصرية مزمجرة من الغرب والشرق ، فدمرت مراكز قيادة الإسرائيليين ، ومراكز التصنت ، ومواقع صواريخ (هوك) فى عمق سيناء ، فأصابت القيادة الإسرائيلية بشلل ، وعندما تحركت الطائرات الإسرائيلية متجهةً لمواجهة الزحف المصرى سرعان ما تساقطت هذه الطائرات بسبب غابة الصواريخ المصرية المضادَّة .

وقامت معارك جوية يقول العسكريون إنها كانت خمسين معركة أُسقط للإسرائيليين فيها تسعون طائرة بالإضافة إلى آلاف الطلعات الجوية التى حققت أرقاماً قياسية ، وأصابت الأهداف ، وقصفت تجمعات الجيش الإسرائيلى وطوابيره المدرعة ، مما أفقد العدو توازنه .

ومع الموجات المتلاحقة من الطائرات كان هناك ألف مدفع تهدر فى قصفات متلاحقة واندفعت موجات العبور من أبطال مصر بواسطة قوارب من المطاط وغيرها من الوسائل ، وكان عبورهم تحت وابل من النيران ، ووصل جنودنا إلى النقط الحصينة رغم كل مقاومة ، ومع أن بعض النقط كانت عنيدة فى دفاعها ، فإن جنودنا كانوا يقتحمون بالمدافع الرشاشة والقنابل اليدوية هذه الحصون .

وكان الساتر الترابى فى بعض المواقع عرضه مائتا متر ولم تكن الأرض صالحة لنصب كبارى العبور ، ولكن المهندسين كانوا فى أعظم لحظات حياتهم ، وكان مدير سلاح المهندسين يشرف بنفسه على مواقع الجسور حتى تمت واستشهد نائب مدير سلاح المهندسين على أحد جسور العبور .

وتحركت قواتنا البحرية لتضرب أهدافاً حيوية للعدو على شاطىء البحر الأبيض وعلى شاطىء البحر الأحمر .

ونزلت القوات الخاصة وراء خطوط العدو فى عمق سيناء لتضرب خطوط إمداده ولتعطل هجماته المضادة وتعرقلها .

واستمر التدفق من الغرب والشرق فى نفس الوقت لا يتوقف ولا ينقطع .

وفى أربع وعشرين ساعة كانت لدينا فى الشرق خمس فرق كاملة ، وذلك شىء لم يحدث مثله من قبل فى تاريخ الحروب .

ونُسفت مواقع خط بارليف وأزيلت من مكانها إلى الأبد ، وتُركت واحدة منها للعبرة والذكرى ، ففى أول يوم دمر للعدو

أربعة عشر موقعاً منها ، وفى اليوم التالى تسعة ، وهكذا تحولت المواقع إلى رماد وتحول حلم إسرائيل فى الأمن المطلق إلى أنقاض وركام .

وفى قلب سيناء دارت أخطر معارك للدبابات فى التاريخ ، وكان ذلك خلال يومى ١٤ ، ١٥ أكتوبر (١٨ ، ١٩ رمضان) ويقول العسكريون إن الدبابات التى دُمرت فى هذه المعارك كانت تعد بالمئات .

المصريون يتسلقون دبابات العدو:

ويقول أحد قادة الألوية الإسرائيلية (يشعيا بن بوارت فى كتابه : التقصير) : إن المصريين كانوا يركضون نحو دباباتنا دون وجل ، وكانو يتسلقونها ويقتلون أطقمها بالقنابل اليدوية والصواريخ .

الاستسلام:

وفى غمرة الهزائم التى نزلت بالعدو صاحت كثير من مواقعه تعلن الاستسلام وترفع الراية البيضاء ، وكان الصليب الأحمر يتدخل معلناً أنه ليس هناك إكراه على الاستسلام ، ولكن كثرة الضحايا وفقدان الأمل جعلت الاستسلام أمراً طبيعياً .

استغاثـــة:

وأدرك قادة إسرائيل أنه لا أمل فى الانتصار على المصريين أو رَدِّهم عن سيناء ، فأرسلت رئيسة وزراء إسرائيل

«جولدا مائير» تطلب الغوث من الرئيس الأمريكى (ريتشارد نيكسون) ويقول العسكريون إن استغاثة جولدا مائير أعادت إلى الأذهان إشارات الاستغاثة التى ترسلها السفن الموشكة على الغرق ، وكانت الاستغاثة قصيرة وحاسمة وهى : أنقذونا .. الزلزال .

استجابة أمريكا:

واستجابت أمريكا استجابةً هائلة لهذه الاستغاثة فأسرعت بإنشاء جسر جوى إلى إسرائيل يحمل الدبابات والطائرات وقطع الغيار ، وكانت الدبابات تنزل من الطائرة إلى الميدان بطقمها الكامل واستعداداتها الشاملة .

وقامت وزارة الدفاع الأمريكية « البنتاجون » بتجريد بعض فرق الجيش الأمريكى من أسلحتها لدفعها بسرعة إلى إسرائيل وكذلك أصدرت تعليماتها بإمداد الجيش الإسرائيلى بالدبابات والصواريخ من المخزون الاستراتيجى لحلف الأطلنطى فى القارة الأوروبية .

وبالإضافة إلى الأسلحة والذخائر انهال المتطوعون الأمريكيون وبخاصة من اليهود ليأخذوا مكانهم بجانب الجيش الإسرائيلى فى أزمته الخانقة .

الثغرة: دوافعها ونهايتها:

يقول شارون : أخذ المصريون زمام المبادرة ، واستطاعوا أن يُلحقوا أفدح الخسائر بالجيش الإسرائيلى ، وكان القتال يمكن أن

يتوقف فى أية لحظة ، وموقفنا فى غاية السوء ، وهذا سيكون كارثة كاملة بالنسبة لإسرائيل وسمعتها ، ومن أجل ذلك كان لابد من عمل شيء ، فألححت على القيادة لتوافق على تنفيذ خطتى بالعبور إلى الغرب فى الدفرسوار ، وساعدتنا الولايات المتحدة فاخبرتنا أن هناك فراغاً بين الجيشين الثانى والثالث المصريين وأشارت علينا بالعبور إلى الغرب .

ويواصل شارون قوله : ولكننى شعرت فى الأيام الأولى لهذه العملية أن إقامة الجسور إلى الغرب كان خطأ عسكريا فقد كان القصف المصرى بالغ العنف ، وفشلنا تماماً فى حصار الجيش الثالث ، وانتهزنا أقرب فرصة لنعود أدراجنا إلى الشرق .

خسائر إسرائيل:

وإزاء التدخل الأمريكى ، وبسبب صرخات مجلس الأمن كان لابد من إيقاف المعركة ولولا تدخل أمريكا لكانت إسرائيل كلها فى خطر ، ووقفت المعركة على أية حال ، وبدأ إحصاء خسائر إسرائيل ، ويقول القادة الإسرائيليون إن خسائرنا حتى اليوم الثالث للحرب كانت هائلة ، فقد سقط آلاف من القتلى وجرح آلاف آخرون ، واستسلم عدد كبير فأخذوا أسرى ، وكان من بين هؤلاء « عساف ياجورى » قائد اللواء ١٩٠ مدرع ، وقد تجاوزت الخسائر البشرية فى ذلك اليوم الأسود كل تقدير .

أما عن المعدات فقد شملت ٢٥٠ طائرة و٨٠٠ دبابة ، وذلك حسب تقديرات معهد الدراسات الاستراتيجى بلندن والمصادر

الإسرائيلية نفسها ، وقالت رئيسة وزراء إسرائيل إن خسائر بلادها تفوق خسائر الولايات المتحدة فى حروب الهند والصين التى استمرت عشر سنوات .

وكان الآلاف من قتلى إسرائيل من الشبان الذين لم يتجاوز الواحد منهم الرابعة والعشرين من العمر ، ولذلك أطلق مناحم بيجين على هذه الحرب « حرب الأبناء » .

تعليقات العسكريين:

لقد أحسن أنور السادات الاستعداد للمعركة ، ونجح نجاحاً عظيماً فى إدارتها وهو يقول فى التعليق عليها :

كانت ضربة الطيران المصرية ضربة رائعة أعادت لقواتنا المسلحة كرامتها التى انتُهكت عام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٧ ، وكان الهجوم بأكثر من مائتى طائرة ، وخسارتنا كانت ضئيلة لا تزيد عن ٢٪ وحققنا ٩٩٪ من الأهداف ، أما خسارة العدو فكانت قاتلة .

ويقول رئيس الأركان آنذاك:

إن تحركات استعدادنا كان يصحبها تحركات أخرى نقوم بها للخداع لنحدث ارتباكاً فى تقديرات من يراقب التحركات ، ولنقوده إلى النتيجة الخاطئة ، وكانت أصعب أيام الخداع هى الأيام الثلاثة الأخيرة ، فقد كانت تقتضى تحركات معينة ، فاحتجنا إلى دقة شديدة فى التقدير لإخفاء هدفها ، ولكننا أولاً وأخيراً كانت رعاية الله لنا التى مكنتنا من تحقيق المفاجآت بالصورة التى تمَّت بها .

ويصف لنا المرحوم المشير « أحمد إسماعيل على » تحركات المعركة فيقول :

عندما انطلقت « الشرارة » وبدأت خطة « بدر » كما أطلق عليها العسكريون ، بدأ كل شيء يتحرك وفقاً لهذه الخطة .

أما وزير الجيش الأمريكي فقد علق على هذه الحرب ونتائجها بقوله :

إن عبور القوات المصرية لقناة السويس فى مواجهة التفوق الجوى الإسرائيلي ليعتبر علامة بارزة فى الحروب الحديثة ، وسوف يؤدى إلى تغيرات فى الاستراتيجية الحربية . فإن حرب الشرق الأوسط قد فجرت وبددت كثيراً من المفاهيم ، فلأول مرة فى التاريخ الحديث تتمكن قوة عسكرية كبيرة من اقتحام قناة السويس دون أن تفقد أية طائرة من طائراتها ، وذلك فى مواجهة عدو يمتلك سلاحاً جوياً متفوقاً .

وأصدر المعهد البريطاني لدراسات الحرب تقريراً ذكر فيه أن عبور الجيش المصرى لقناة السويس الذى تم فى السادس من أكتوبر كان يصعب تحقيقة بهذا النجاح حتى لو كان الأمر مجرد عملية تدريب بدون عدو مُواجه ، وأضاف المعهد قائلاً ، لم يكن هناك منذ عشر سنوات من يصدق أن المصريين كانوا قادرين على ذلك ، ولكنهم فعلوه ، لقد دفعوا بقوات هجومهم عبر القناة ، وحققوا أعظم النتائج ... لقد استيقظت روح القتال بكل تأكيد لدى المصريين .

وَهُمُ إسرائيل:

ويقول الكاتب الإسرائيلى « أمنون كابليوك » فى كتابه « انتهاء الخرافة » :

لم يتصور أحد فى إسرائيل أن المصريين يمكنهم القيام بمثل هذه العملية العسكرية ، ولا يسعنا الآن سوى أن نصاب بالذهول والوجوم لأننا جميعاً وقعنا فى هذا الوهم الهش الذى كان بعيداً كل البعد عن الواقع .

***

تحية لروح أنور السادات:

وهنا يتحتم علينا أن نذكر بكامل الإجلال والتقدير الرئيس أنور السادات ، ذلك الرجل العظيم الذى أعد للمعركة وأحسن إدارتها ، والذى يَنسى له هذا الفضل هو إما جاهل أو مكابر ، فمن يَنسى أو يكره من حقق النصر وطرد العدو ؟ ، لقد كانت لأنور السادات أخطاء ، ولكن كانت له حسنات فى قمتها معركة العاشر من رمضان ، أحسن الله جزاءه كفاء مارفع رؤوسنا بعد أن أذلتها الهزائم .

سوريا والعرب مع مصر:

ومن مفاخر العصر الحديث أن الأزمة جمعت العرب جميعاً فى صف واحد ، قاتلت سوريا فى الميدان السورى بشجاعة ،

فشغلت جزءاً كبيراً من جيش العدو ، وقدم العرب الأموال للمعركة بسخاء ، وبخاصة الملك العظيم فيصل بن عبد العزيز ، فكان هذا التعاون من أسباب النصر ، ليت العرب يحرصون على التآلف ، وينبذون الأحقاد والفرقة ، ولو فعلوا ذلك لكان لهم النصر الدائم .

وبعد : هذه هى انتصاراتنا فى رمضان خلال تاريخنا الوسيط والحديث ، ووسيلتنا للنجاح أن نحذو حذو الآباء والأجداد ، وأن نعد أنفسنا لندفع الشر عن أهلينا وديارنا ، فلا بقاء فى عالم اليوم لغير الأقوياء .

شهر رمضان
شهر حافل بالأحداث الكبرى

الذى يقرأ التاريخ الإسلامى يواجه أحداثاً خطيرة عميقة الأثر فى الحياة الإسلامية ، وهذه الأحداث تختلف فى طبيعتها ، ولذلك توضع تحت عناوين مختلفة كالآتى :

* أحداث خاصة بشخصيات إسلامية بارزة فى الحياة الإسلامية وسنرصدها متتالية حسب موقعها فى سنوات التاريخ الهجرى .
* أحداث ترتبط بتشريعات أو مؤسسات إسلامية ، وسنرصدها حسب ما اتضح لنا من أهميتها .
* انتصارات المسلمين فى رمضان التى أبرزت هذا الشهر عبْر التاريخ شهراً مباركاً حقق المسلمون فيه أروع انتصارات فى أحرج المواقف ، وسنسردها متسلسلة حسب تاريخ وقوعها .

وفى الصفحات التالية نصوِّر هذه الأحداث الاجتماعية والعسكرية .

الأحداث الخاصة

بشخصيات إسلامية بارزة

مولد الحسن بن على بن أبى طالب سنة٣ هـ :

ولد الحسن بن على حفيد الرسول ﷺ فى ١٥ رمضان سنة ٣هـ ، وكان هو وأخوه الحسين ينعمان بحب جدهما رسول الله ﷺ ، ويُروى أن الرسول كان مرةً يصلى فأطال السجود على غير عادة ، فلما سُئِل عن ذلك قال : إن ابنى قد ارتحلنى فكرهت أن أُعجِله .

وتوفى الحسن بن على فى الثانى عشر من شهر رمضان سنة ٤٩هـ .

وكان الحسن قد قامت محاولة للشيعة للبيعة له عقب مقتل أبيه ، أو قل إنه قد بويع فعلاً من بعض الشيعة ، ولكن هذه المحاولة سرعان ما انهارت حينما أشيع أن قائده قيس بن سعد ابن عبادة قد قُتل ، فإذا ببعض أهل العراق - الذين كانت الفوضى ونكث العهد قد أصبحا من أبرز خصائصهم - ينهالون على بيت الحسن ، يهتكون حرماته ، وينهبون متاعه حتى

نازعوه بساطاً كان يجلس عليه ، ولم يسلم الحسن نفسه من بعض الطعنات من هؤلاء البرابرة الغادرين [1] .

على أن الحسن بن عليٍّ كان قد عاصر المشكلات التى عاناها أبوه ، وعرف الحسن أن أباه لم يستطع أن يتغلب عليها ، وإذا كان البطل عجز عن حل هذه المشكلات فما أحرى الحسن بطلب السلامة ، إيماناً منه أن تيار الأحداث كان أقوى منه ، على أن صفات الحسن لم تكن تهيئه للخلافة ، فلم تكن له ميزة أعظم من أنه ابن على بن أبى طالب ، وهذا لا يكفى قطعاً لنيل المكانة فلم تكن له بطولة أبيه أو علمه وفقهه .

لذلك نجده يقنع بشروط اشترطها لنفسه ولذويه ويتعهد بالتنازل عن حقه فى الخلافة إذا قبل معاوية هذه الشروط .

ولم تكن هذه الشروط موضع نظر من معاوية ، فإنه كان مستعداً أن يقر بأى شىء نظير تنازل الحسن ، ولذلك يقال إنه عندما عرف ميل الحسن للصلح أرسل له صحيفة بيضاء ممضاة ليكتب فيها ما يشاء من شروط .

---

(١) تاريخ الطبرى جـ٤ ص ١٢٢ .

مولد العلامة ابن خلدون:

فى اليوم الثانى من شهر رمضان سنة ٧٣٢هـ وُلِدَ العلامة ابن خلدون بتونس ، وهو عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، وقد درس منذ مطلع شبابه علوم اللغة العربية والأدب ، ثم علوم الفلسفة ، ثم انتقل إلى مدينة فاس ودخل فى خدمة أبى عثمان ، ثم سالم من بنى مرين الذى عينه قاضياً للقضاة .

وقد تَنَقَّل بعد ذلك فى أقطار العالم الإسلامى فزار شمال إفريقيا، والأندلس ، والشام ، والحجاز، وغرناطة ، والإسكندرية، والقاهرة .

وفى القاهرة جلس للتدريس بالجامع الأزهر حيث كان لا يجلس بالتدريس فيه إلاّ أساطين العلماء ، وتعرف عليه السلطان برقوق سلطان مصر آنذاك وأقامه قاضياً للقضاة فى مصر سنة ٨٠١هـ ، واشترك فى حملة السلطان الناصر على الشام فى حرب تيمور لنك .

وكسب ابن خلدون من هذه الرحلات الكثيرة ، والوظائف الكبيرة ، وصلته بالرؤساء والسلاطين ؛ كسب خبرات عظيمة وتجارب مفيدة انعكست على مؤلفاته وأشهر هذه المؤلفات :

- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، تاريخ العرب والعجم والبربر ويقع فى سبعة أجزاء .

وله « مقدمة » ملأت الدنيا شهرة ومعرفة ، هى مقدمة ابن خلدون التى تعتبر فريدة فى المكتبة العربية من حيث أنها دراسة عربية متقدمة فى علوم الاجتماع والاقتصاد والسياسة

وفلسفة التاريخ ، وقد ترجمت إلى عدة لغات غربية ، ونشرت عدة مرات .

ويعتبر ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع ، وقد اعترف بذلك علماء الغرب ، وتدارسوا المقدمة بعناية ، وهى توضح أن الأحداث التاريخية لا تحدث جزافاً وإنما لها أسباب وعوامل ينبغى على مدرس التاريخ أن يتوقف عندها ليعيد الأحداث إلى أصولها .

وقد توفى ابن خلدون سنة ٨٠٨هـ بمصر فى عهد السلطان الناصر لدين الله رحم الله ابن خلدون ورحم الذين عرَفُونا بتراثه وأفكاره .

من أحداث رمضان

وفاة السيدة فاطمة الزهراء

توفيت السيدة فاطمة الزهراء فى الثالث من رمضان سنة ١١هـ ، وهى بنت الرسول ﷺ وزوج الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه ، تزوجت سنة اثنين للهجرة فولدت الحسن والحسين ومحسناً وزينب وأم كلثوم ، وقد مات محسن صغيراً ، وتزوجت زينب عبد الله بن جعفر ولم تنجب منه وتزوجت أم كلثوم عمر بن الخطاب فولدت له زيد بن عمر ، وقتل عمر وهى زوجته ، وتوفيت أم كلثوم وابنها زيد فى يوم واحد بعد ذلك بقليل .

أما الحسن والحسين أبنا علىّ وفاطمة ، فقد أنجبا نسلاً كثيراً ، ومنهما وُجد النسل الذى ينحدر من رسول الله ﷺ حتى الآن .

والسيدة فاطمة الزهراء تستحق مزيداً من الحديث عنها لمكانتها من الرسول ﷺ من جانب ، ولأن منها عاش حتى الآن نسل الرسول من جانب آخر ، ويروى الذهبى أن الرسول ﷺ

قال عنها : إنها سيدة العالمين فى زمانها ، وكان يكنيها « **أم أبيها** » لما كان فيها من الحنان على رسول الله الذى قلما يوجد فى غير الأم .

وقد وُلدت السيدة فاطمة قبل البعثة بقليل وتزوجها الإمام علىّ عقب غزوة أحد ، وكانت فاطمة فى العقد الثانى من عمرها ، وقد روت كثيراً من الأحاديث عن أبيها ، وروى عنها ابنها الحسن والسيدة عائشة ، وأم سلمة ، وأنس بن مالك ، وكان الرسول ﷺ يحبها ويكرمها ويسير إليها ، وكانت صابرة متدينة خَيِّرة خاضعة شاكرة لله ، وكانت مشية فاطمة شديدة الشبه بمشية الرسول ﷺ .

وكانت السيدة فاطمة تطمع أن ترث أباها فى أرض فدك ولكن أبا بكر ذكر لها أنه سمع الرسول صلوات الله وسلامه عليه يقول : [**نحن معشر الأنبياء لا نُورث ما تركناه صدقة**] . فوجدت عليه (أى غضبت) كأنها لم تكن قد سمعت هذا الحديث من الرسول ﷺ .

ولما مرضت السيدة فاطمة أتى أبو بكر إلى بيتها واستأذن فدخل علىّ عليها وقال لها : يا فاطمة هذا أبو بكر يستأذن عليك فسألتْ علياً قائلة : أتحب يا علىّ أن آذن له ؟ قال علىّ : نعم فأذنت له ، فدخل عليها أبو بكر يترضاها ، وقال لها : والله ما تركت الدار ، والمال ، والأهل ، والعشيرة إلا ابتغاء مرضاة الله ورسوله ومرضاتكم أهل البيت ، ومازال بها حتى رضيت .

وكانت وفاة السيدة فاطمة بعد النبي ﷺ بخمسة أشهر أو نحوها ، وكان عمرها خمساً وعشرين سنة تقريباً ، وكانت وفاتها يوم الثلاثاء الثالث من رمضان سنة إحدى عشرة للهجرة .

وفاة خالد بن الوليد سنة ٢١ هـ

وخالد بن الوليد صحابى وقائد إسلامى بارع وأبوه الوليد بن المغيرة سيد قريش فى عصره ، وهو أحد الرجلين اللذين أشارت لهما الآية الكريمة ﴿ **وقالوا لولا نُزِّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم** ﴾[1] ، (والرجلان هما الوليد بن المغيرة فى مكة ، وعروة بن مسعود الثقفى فى الطائف) .

وقد تأخر إسلام خالد إلى السنة السابعة للهجرة ، وكان السبب فى ذلك أن مجلس أبيه الذى كان يَضُمُّ قادة الشرك فى مكة شغله عن التفكير فى الإسلام ، ولما مات أبوه أخذ خالد مكانه فى الرياسة ولذلك طالت حياته مع الشرك ، ولم يجد الفرصة ليتعرف على الإسلام فحقق ضد المسلمين انتصاراً كبيراً فى غزوة أحد مما يدل على قدرة عسكرية هائلة ، ولما آلت له قيادة بنى مخزوم صارت له القبة وأعنة الخيل ، فشغلته مظاهر الحياة عن النظر فى الإسلام .

ومرت السنون وخالد يفخر بقوته ، ولا يجد السبيل للتفكير لأنه يعيش فى مكة وليس حوله إلا أعداء الإسلام ، ومن هنا بقى فترة طويلة مشغولاً بالحروب والصراع دون أن توجد الفرصة لتدق دعوةُ الإسلام نفسه .

---

(١) الزخرف : ٣١ .

ثم جاء صلح الحديبية ، وهدأت السيوف والحراب التى كانت شغل خالد الشاغل ، وأتيح لعقله أن يفكر ، ولنفسه أن تقدر ، وفى نفس الوقت جاءته رسالة من أخيه الوليد يقول فيها : أما بعد يا خالد « لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام وعقلُك عقلك : وهل كان خالد يجهل الإسلام ؟ وقد سألنى رسول الله ﷺ قائلاً : أين خالد ؟ فأجبت : يأتى به الله يا رسول الله ، فقال عليه الصلاة والسلام ما مثل خالد يجهل الإسلام ، ولو جعل خالد قوته مع المسلمين لكان خيراً له ، ولقدمناه على غيره ، وختم الوليد رسالته قائلاً : استدرك يا أخى ما فاتك ، فقد فاتتك مواطن صالحة » .

وكل هذه العوامل جذبت خالداً إلى الإسلام فصاح يقول : « والله لقد استقام المنسم (اتضح الأمر) وإن الرجل لرسول فإلى متى أبعد عنه ؟ ومتى سأذهب إليه فأُعلن له إسلامى ؟ ودخل للرسول وأعلن إسلامه » .

وكان خالد يتمنى أن يجد له رفيقاً فى هذه الرحلة الخطيرة التى تصوِّر تحوُّلاً هائلاً فى تاريخ مكة وتاريخ الإسلام ، ووجد خالد رفيقه وهو عثمان بن طلحة ، ولعثمان نفس الوضع الذى نتدارسه إنه كذلك كان فى عنفوان الشباب ، وكان فى نفسه صفاء ، أما أبوه فهو طلحة بن أبى طلحة وهو من طبقة الوليد ابن المغيرة والد خالد ، ومن أخطر أعداء الإسلام إنه ذلك الأب الذى وقف بعنجهية وكبرياء فى مطلع غزوة أحد يتحدى المسلمين ويطلب المبارزة ، وعندما بارزه علىٌ وقضى عليه ،

خرج أخوه عثمان بحماسة الواله الحزين يطلب المبارزة أيضاً ، فصرعه حمزة ، وتقدم الأخ الثالث أسعد ، فالأخ الرابع مسافع فسقطا أيضاً فى ميدان المبارزة ، وهذا يدل على عمق الباطل فى هذا الجيل بهذه الأسرة ، ولكن عثمان بن طلحة كان يدور فى نفسه ما يدور فى نفس خالد بن الوليد ، فلما التقى به خالد وذكر له ما يخطر على باله أسرع بالاستجابة له وسارا معاً شوطاً فالتقيا بعمرو بن العاص ، وهو شاب من سراة قريش وعظمائهم ودهاتهم ، وكان أحدُ المسلمين قد قال له منذ فترة قصيرة : عجبت لذكائك يا ابن العاص ، كيف تعرض عمّن أقبلت عليهم الدنيا وضمنوا الآخرة ؟ وكان عمرو ينتظر الظروف التى تساعده على إسلامه ، فلما التقى بخالد وعثمان ابن طلحة سألهما إلى أين المسير ؟ فأخبراه ، فقال لهما : لقد دبَّ فى نفسى ما دب فى نفسيكما ، فرحَّبا به رفيقاً ثالثاً فى هذه الرحلة وذهب الثلاثة إلى الرسول ﷺ بالمدينة ، ولما علم الرسول بقدومهم قال لأصحابه : رمتكم مكة بأفلاذ أكبادها ، وحضر هؤلاء للرسول ،.وأعلنوا إسلامهم وبايعوا رسول الله ﷺ ، وفى خجل من الماضى قال خالد للرسول صلوات الله وسلامه عليه : استغفر لى كلَّ ما أوضعت فيه (أى تعجلت وأسرعت) من صدٍّ عن سبيل الله ، فردَّ الرسول رداً فيه شفاء للثلاثة جميعاً قال إن الإسلام يجُبُّ ما قبله ، وكان

الرسول ﷺيقول عن عمرو بن العاص أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص

وحمل هؤلاء الثلاثة أعباء طويلة فى خدمة الإسلام كأنما أرادوا بذلك أن يكفِّروا عن مواقف وقفوها من قبل مناضلين ضد الإسلام .

ولخالد بن الوليد مفاخر فى الإسلام نجملها فيمايلى :

١ - اشتراكه فى غزوة مؤتة وإنقاذه جيش المسلمين .

٢ - شهد فتح مكة وكان من قادة جيوش المسلمين فى هذا الفتح .

٣ - شهد غزوة حنين والطائف .

٤ - حارب بجسارة المرتدين ومدَّعى النبوَّة وأشدهم (مسيلمة الكذاب) .

٥ - حارب طليحة مدعي النبوة فى بنى أسد .

٦ - حارب فى العراق وحقق النصر .

٧ - انتقل للشام وكان من قادة معركة اليرموك .

ثم اشترك فى فتح دمشق ، وحمص ، ومدن الشمال .

وقد عزله عُمر عن قيادة جيوش المسلمين عندما آلت له الخلافة ، قيل لأنه خاف أن يتغلب عليه الغرور لكثرة انتصاراته ، وجعل عمر القيادة لأبى عبيدة بن الجراح ، وقبل خالد موقعه الجديد وحارب تحت إمرة أبى عبيدة .

وتوفى خالد بن الوليد فى ١٨ رمضان سنة ٢١هـ ، وصلى عليه عمر بن الخطاب . ويروى أنه قال عند وفاته يحثُّ على البطولة ويستهجن الجبن : « **إنه ليس فى جسمى مكان إلا فيه ضربة سيف ، أو طعنة رمح ، وهأنذا أموت على فراشى كما يموت البعير ، فلا نامت أعين الجبناء .** »

استشهاد الإمام علىّ بن أبى طالب كرّم الله وجهه فى ١٧ رمضان سنة ٤٠ هـ

تعريف بعلىّ:

هو ابن عم الرسول ﷺ ، وزوج ابنته فاطمة وعن طريق علىّ وفاطمة وُجد أحفاد الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وانتشروا يحملون عطر الأرومة الطيبة .

وعلىٌّ أخو الرسول فى المؤاخاة ، فيروى أن الرسول بعد أن قام بالمؤاخاة بين المسلمين اثنين اثنين ، قال له علىّ : ومنْ أخى يا رسول الله ؟

فأجاب الرسول : أنت أخى فى الدنيا والآخرة .

ولنبدأ الحديث عن علىٍّ تبعاً لمراحل حياته ومراحل فكره .

بيت عليّ:

أبوه أبو طالب ، الذى تولّى كفالة محمد عندما كان صبياً بعد وفاة جده عبد المطلب ، وتاجر محمد معه فى مطلع شبابه قبل أن يتاجر فى مال السيدة خديجة ، وبارك أبو طالب خطبة محمد للسيدة خديجة ودفع مهرها من ماله ، ولما جاءت الرسالة إلى الرسول ﷺ وقف أبو طالب معه موقفاً عظيماً ، مما جعله شخصية مهمة فى تاريخ الإسلام ، فلقد حمى الرسول حماية مطلقة ، وكان له فى قومه نفوذ ومكانة عالية ، لم يكن من الممكن أن يتخطاها أعداء الإسلام ، وكان الكفار من قريش يتردّدون على أبى طالب ، ويطلبون منه ، أن يُسكت ابن أخيه الذى كان يسبُّ دينهم ، ويحقّر آلهتهم ، ولكن أبا طالب لم يستجب لهم .

مولد عليٍّ وإسلامه:

ولد عليٌ سنة ٢٣ قبل الهجرة ، وسمّته أمه حيْدرة ، والحيدرة هو الأسد ، ولكن أباه سماه علياً ، وهو الاسم الذى عُرف به ، وإن بقى حيْدرة وصفاً له لشجاعته وبطولته .

وكان لأبى طالب أبناء أربعة هم : جعفر وعُقيل وطالب وعليٌّ ، وكان عليٌ أصغرهم سناً ، وعندما أصاب القحط الجزيرة العربية ذهب العباس وحمزة ومحمد (قبل بعثته) إلى أبى طالب يعرضون استعدادهم للتعاون معه فى تربية أولاده ، فأخذ العباس طالباً ، وأخذ حمزة جعفراً ، وكان عليٌ من نصيب

محمد ، وكان علىّ آنذاك فى مطلع الصبا فى حوالى السادسة من العمر ، فتربى مع الرسول ﷺ وتشرَّب خلقه واتجاهاته التى كانت حافلةً بالسداد .

ومن ثَمّ فإن علياً لم يسجد لصنم قط ، لأن الأصنام لم تجد لها مكاناً فى حياة محمد ، وبالتالى لم تجد لها مكاناً فى حياة علىّ الذى كان يحذو حذو ابن عمه ، ويتابع سلوكه ويَعُدُّه فى منزلة الأب أو الأخ الأكبر .

ولما جاء الإسلام وعلىٌّ فى سنٍ مبكرة يراها المؤرخون حوالى العاشرة من العمر ، أعلن علىٌّ دخوله الإسلام ، ويروى أنس ابن مالك أن الرسالة بدأت يوم الاثنين ، وأن علياً اعتنق الإسلام يوم الثلاثاء التالى .

وذهب علىّ إلى والده أبى طالب يقول له :

يا أبت : لقد آمنتُ بالله وبأن محمداً رسول الله وصدقت ما جاء به .

قال أبو طالب : يا بنى إنه لا يدعوك إلاّ إلى خير فالزمه .

ومن أجل إسلام علىٍّ المبكر يتجه بعض المؤرخين إلى القول بأن علياً كاد أن يولد مسلماً .

ودخول علىّ الإسلام مبكراً جعله لا يعرف لهْو الصبيان ولا صخب الشبان ، ولا أسمارهم وعبثهم حتى يمكن القول إنه تخطَّى مرحلة الصبا والشباب ، فاكتسى بهيبة الإسلام وجلاله من مطلع العمر .

وتبعاً لذلك عاصر عليٌ نزول القرآن الكريم آية إثر آية وكان يقول : سلوني ما شئتم عن كتاب الله ، فوالله ما من آية من آياته إلا وأنا أعلم أنزلت في ليل أو نهار .

وقد نام عليٌ في فراش الرسول ﷺ ليلة الهجرة مع علمه بأن النائم في هذا المكان معرض للموت من أولئك الذين كانوا يحيطون ببيت الرسول وقد شرعوا السيوف للقضاء على محمد صلوات الله وسلامه عليه عندما يهدأ الليل ، ولكن علياً كان مستعداً للتضحية بنفسه لينجو الرسول حتى يؤدى رسالة الله سبحانه وتعالى إلى الناس .

وزوّجه الرسول ﷺ من أحب بناته إليه من السيدة فاطمة الزهراء ، ووصفه لها بقوله : زوّجتك أكثر الناس علماً ، وأعظمهم حلماً ، وعندما زفها الرسول إلى عليٍّ وأراد الرسول أن يتركها في بيتها الجديد بكت ، فقال لها الرسول : ما يبكيك ؟ وقد زوجتك أقدم الناس إسلاماً وأحسنهم خلقاً .

ذكاء عليٍّ:

عندما بدأت الحرب بين المسلمين وبين الفرس اتجه الخليفة عمر بن الخطاب إلى أن يقود الجيش بنفسه ، ولكن علياً قدَّم له مشورة فيها حنكة وذكاء ، وكلماتها .

إنك متى تسرْ إلى هذا العدو بنفسك فإنك تعرض حال المسلمين لخطر مُدْنهمّ ، فإذا أصابك مكروه فإنك تترك المسلمين بدون مرجع يرجعون إليه ، وإني أرى أن تبعث رجلاً مجرباً

يقود الجيش ، فإن أظهره الله كان ذلك خيراً وبركة ، وإن تكن الأخرى كنت ملاذاً للناس ومثابة للمسلمين .

معرفته بطبيعة الجماهير:

كان عليّ بن أبي طالب يرى أن الجماهير غير واعية إذا اجتمعت استجابت لأي اتجاه دون تمحيص ورويّة ، ولذلك كان يقول : إن هؤلاء إذا اجتمعوا ضرُّوا ، وإذا تفرقوا نفعوا ، فاجتماع الجماهير كثيراً ما يقود لثورة هوجاء ، أما إذا تفرقوا فإن كلا منهم سيذهب إلى صناعته وعمله ، فينتفع الناس من جهودهم .

علم عليّ وفقهه وعدله:

والحديث عن علم عليٍّ حديث يطول ، فقد كان من الصفوة بين المسلمين الذين جُمع لهم الفكر السديد ، وجوامع الكلم ، والحنكة في القضاء ، وقد كان مرجع الفتوى في عهد أبي بكر الصديق ، وكان إذا غمض رأيٌ صاح به أبو بكر (أفتنا يا أبا الحسن) أما عمر فكان يعتمد علي فقهه ومعرفته اعتماداً كبيراً ، وكان في هذا يقول : لولا عليّ لهلك عمر .

وتقديراً من عمر بن الخطاب لفقه عليٍّ ومعارفه عيَّنه للقضاء بين الناس ، وكان يقول عنه : عليٌّ أقضانا ، وكان يتعوّذ من معضلة ليس لها أبو الحسن ، فمن ذا الذي يستطيع أن يحلَّ مشكلة لم يستطع الإمام عليٌّ حلها ؟ .

وفى عهد خلافة الإمام على بن أبى طالب ضاع درعه ثم وجده الإمام فى يوم من الأيام مع رجل من أهل الكتاب فتقاضيا إلى شريح القاضى ، وطلب شريح من علىّ بن أبى طالب البينة أن الدرع درعه ، ولم يكن لدى علىٍّ بينة محددة تُقنع القاضى ، فقضى شريح بالدرع لحامله ، وسار الرجل بالدرع بضع خطوات ، ولكنه توقف ، وعاد ليقول : لقد شاهدت أمراً عجباً ، الخليفة وهو صاحب النفوذ الأعظم يقاضينى لدى قاضيه ، والقاضى يحكم لى ، تلك والله شريعة الله وإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، واعترف أن الدرع درع أمير المؤمنين ، وقد حصل عليه فى أثناء وقعة حنين ، فقال الإمام : أما وقد أسلمت فالدرع لك .

زهد الإمام علىٍّ:

فى الحديث عن زهد الإمام علىّ كرّم الله وجهه نبدأ بأن نروى كلماته فى هذا المجال وهو فى هذا يقول : طوبى للزاهدين فى الدنيا الذين اتخذوا الأرض بساطاً وترابها فراشاً ، وأخذوا منها وأعطوا فيها ، فالدنيا دار صدق لِّمن صدقها ، ودار غنى لمن تزود منها ، إنها مهبط الوحى ، ومسجد الأنبياء ، وعن طريقها ينال الناس الرحمة ويكسبون الجنة .

وقد وصل به زهده إلى درجة عالية ، فقد رُوى أنه أعطى مرة بعض النقود لغلام له ليشترى بها ثوبين متفاوتى القيمة ، فلما اشتراهما الغلام أعطاه الإمام أرقهما نسيجاً وأغلاهما ثمناً ، وقال له : أنت أحق منى بالثوب الجيد لأنك شاب تحب أن تجمِّل نفسك .

ولعل خير ما وُصِفَ به على فى مجال الزهد هو قول عمر بن عبد العزيز عنه :

أزهد الناس فى الدنيا عليّ بن أبى طالب .

ومن أجل زهده ، وتصوفه وُضِعَ الإمام عليّ كمنشىء علم التصوف ، وسار كثير من أعلام الصوفية الأولين على نهجه من أمثال : الجنيد والبسطامى والكرخى وغيرهم .

بطولات عليّ:

يُعتبر عليّ من أعظم الشجعان والأبطال الذين عرفهم الإسلام لقد كان لا يهاب الموت ولا يهاب عدواً أياً كان ذلك العدو فى اقتداره وقوته ، وكان له دستور ، وضّحه فى بيتين من الشعر معناهما أن المعركة التى يدخلها قد حدد الله نتائجها ، فالله سبحانه وتعالى إما أن يكون قد كتب له النجاة فيها ، وحينئذ فلْيندفع فيها بقوة غير هيابه ، فلن يصيبه مكروه ، مادام الله قد كتب له النجاة .

وأما إذا كان الله سبحانه وتعالى قد قضى أن يُلاقى فيها حتفه فلْيندفع أيضاً بقوة غير هيابه ، إذ لا نجاة له مهما كان تردده واحتياطه .

وهذان البيتان هما :

أى يوميَّ من الموت أفرْ *** يوم لا يُقْدر أو يوم قُـــدر
يوم لا يُقدّر لا أرهبـــــه *** ومن المقدور لا يُغنى الحذَر

وقد كانت صرخة عليّ بهذين البيتين تفزع أعداءه إذ تجعلهم يدركون مدى المخاطرة التى يندفع بها إلى المعركة غير متردد

أو خائف ، ولذلك ما كان أحد يستطيع أن يواجهه أو يقوى على منازلته .

ولم يُهزم عليّ بن أبى طالب فى معركة عسكرية قط ، بل كان دائماً يحقق نجاحاً خارقاً رائعاً .

عليٌ فى غزوة بدر وأُحد:

وقد شهدت الغزوات الإسلامية صوراً رائعة من بطولات عليّ ، ففى غزوة بدر الكبرى كان أحد الأبطال الثلاثة الذين استجابوا للتحدى الذى قام به عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة وابنه الوليد ، عندما انتزعوا أنفسهم من جيش قريش وتوسطوا المسافة بين الجيشين وصرخوا : من يبارز ؟ وقد خرج لهم عليّ وعمه حمزة وابن عمه عبيدة بن الحارث ، وقد حقق عليّ فى المبارزة وفى الصراع الذى دار بعدها أعظم تفوق ، ومثل هذا حدث فى غزوة أُحد ، فقد انتصر عليٌ فى المبارزة وفى المعركة أعظم انتصار .

عليٌ فى غزوة الخندق:

وفى غزوة الخندق خرج من صفوف الكفار بطل مشهود له بالبأس والقوة هو عمرو بن ودٌ ، وصرخ : من يبارز ؟ فتردد الأبطال عن مواجهته ، ولكن علياً قال للرسول ﷺ : أنا له يا رسول الله ، فأشفق الرسول على عليٍّ وقال له : إنه عمرو ابن ودٌ يا عليّ ، فكرر عمرو صرخته وتحديه ، فصاح عليّ : يا نبى الله أنا له وإن كان عمرو بن ودٌ ، وبرز عليٌ لبطل قريش

ولكنّ عَمْرَ بن ودٍّ صاح به : يا علىّ ، لقد كانت بينى وبين أبيك مودة ، ولا أريد أن أقتلك .

فقال له على : ولكنى أريد أن أقتلك فى سبيل الله .

وحينئذ دار بينهما صراع عنيف ، وغمرهما الغبار ، فلم تكن رؤيتهما بمستطاعة ، وبعد فترة من الضرب ، والنزال خرج علىٌّ من وسط الغبار وهو يصيح : الله أكبر ، وترك خصمه مجندلاً فى دمه .

علىّ فى غزوة خيبر:

وفى غزوة خيبر قال الرسول صلوات الله وسلامه عليه : لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله فتمنى كثير من المسلمين أن تكون لهم الراية أملاً فى أن ينالوا حب الله ورسوله ، ولكن الرسول أعطى الراية علياً وأبدى علىٌّ فى هذا اليوم المجيد شجاعة نادرة ، ويقال إنه جذب باب الحصن بيده ، فأوقعه على الأرض وكان ينوء بذلك عديد من الرجال .

علىّ يوم فتح مكة:

وفى يوم فتح مكة تجمعت فى علىٍّ الشجاعة والبطولة من جانب ، والشهامة والفروسية من جانب آخر ، فقد كانت إحدى رايات المسلمين فى يد البطل الأنصارى سعد بن عبادة ، وعندما أحسّ بالنصر هتف قائلاً : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحلُّ الحرمة .

فانزعج أبو سفيان والمهاجرون الذين سمعوا هذا الهتاف وخافوا أن يُنزل سعد بأهليهم فى مكة وبالبيت الحرام ألواناً من الضرِّ ، فأسرعوا إلى الرسول ﷺ ، وتدارك الرسول الأمر فأرسل علياً إلى سعد ليأخذ منه الراية وليعطها لابنه قيس بن سعد ، وأطلق علىٌّ منادياً ينادى بما أمر به الرسول مَنْ دخل الكعبة فهو آمن ، ومَنْ دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ومَنْ أغلق عليه بابه فهو آمن .

وتناسى علىٌّ فى هذه الساعة ما لاقاه من عنت قريش وإسرافهم فى إيذائه ، وإيذاء ابن عمه رسول الله .

وهكذا شهد علىٌّ الغزوات كلها فيما عدا غزوة تبوك فقد خلّفه رسول الله على أهله ، لبُعد الشقة فى هذه الغزوة .

وفـاة علـىّ:

لم يستقر الأمر لعلىّ يوماً واحداً طيلة مدة خلافته وكان يعالج مشكلة فتظهر له مشكلات أخرى ، وبينما كان علىّ يُعد العدة لحملة جديدة ضد معاوية كانت هناك مؤامرة ثلاثية تدبر للقضاء عليه ومدبرو هذه المؤامرة ثلاثة من الخوارج اتفقوا على التخلص من علىّ ومعاوية وعمرو بن العاص فى ليلة واحدة فاتجه عبد الرحمن بن مُلْجم لقتل علىٍّ بالكوفة ، واتجه البرك ابن عبد الله التميمى إلى الشام لقتل معاوية ، واتجه عمرو ابن بكر التميمى إلى مصر لقتل عمرو بن العاص ، وقد نجح ابن مُلْجم من بين هؤلاء الثلاثة ، فطعن علياً بسيفه طعنة قاتلة

وهو ينادى للصلاة ، وأمسك به المصلون ، فلما مات عليٌّ قُتل ابن مُلْجم فيه ، أما البرك فقد طعن معاوية طعنة غير قاتلة ، وأما عمرو بن بكر فقد جلس يرقب عمرو بن العاص ليخرج لصلاة الفجر ، ولكن هذا لم يخرج لمرض ألمّ به وأناب عنه خارجة بن حبيب السهمى ليصلى بالناس فطعن عمرو خارجة وهو يحسبه عمرو بن العاص .

ومات الإمام سنة ٤٠هـ أحسن الله له كفاء ما قدّم من جهد لخدمة الإسلام وما ابتعد عن بريق الدنيا وزخرفها .

وفاة عمرو بن العاص سنة ٤٣هـ

فاتح مصر ، عمرو بن العاص بن وائل السهمى ، ولعمرو إخوة من أمه أشهرهم عقبة بن نافع فاتح إفريقية ، وقد وُلد عمرو حوالى سنة ٥٧٤م أى قبل الهجرة بحوالى خمسين سنة .

وكان ميسور الحال إذ كان يعمل بالتجارة مع الشام ومصر ، وأسلم عمرو سنة ٧هـ ، وقدم المدينة مهاجراً مع خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة ، وكانت قريش قد أرسلته إلى نجاشى الحبشة ليستعيد مَنْ كانوا عنده من المسلمين ، فرفض النجاشى طلب قريش ، ويُقال إن عمراً أسلم فى الحبشة .

وأول عمل أُسْنِد لعمرو فى الإسلام أنه كان أميراً على سرية « ذات السلاسل » وكان أبو بكر وعمر رضى الله عنهما من رجال هذه السرية ، وأرسله الرسول ﷺ لدعوة أهل عُمان ، ولما أسلمت استعمله رسول الله صلوات الله وسلامه عليه عليها ، وظل والياً على عُمان حتى وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام

وكان عمرو أحد قادة حروب الردّة والمتنبئين ، وبعد الانتهاء منها عينه أبو بكر أحد قادة الحروب التى اتجهت للشام ، وكان معه أبو عبيدة ، ويزيد بن أبى سفيان ، وشرحبيل بن حسنة ، وهو الذى فتح أرض فلسطين ، وانتصر على جيش هرقل ، ودعا عمر بن الخطاب ليتسلم القدس من البطريرك صفرونيوس .

وأذن له الخليفة عمر بن الخطاب بالزحف إلى مصر فدخلها ، وكان دخوله مدينة العريش فى يوم عيد الأضحى سنة ١٨هـ ، ولما وصل مدينة الفرما جرى أول لقاء مع الجيش البيزنطى بمصر ، فانتصر فيه عمرو ، ثم سار إلى بلبيس فعين شمس حيث حقق ألواناً من الانتصارات .

ووصل عمرو بذلك إلى حصن بابليون الحصين ، فحاصر الحصن ، وطلب مدداً من الخليفة ، فأرسل له الخليفة مدداً عدده أربعة آلاف جندى يقودهم أربعة وقال : إن كل واحد منهم بألف مقاتل وهم : الزبير بن العوام ، وعبادة بن الصامت ، ومسلمة ابن مخلد ، والمقداد ، وجرت مفاوضات انتهت بالصلح وتسليم الحصن للمسلمين وإن كان الامبراطور هرقل لم يعترف بذلك .

وسار جيش عمرو بن العاص بعد ذلك إلى مدينة الإسكندرية التى كانت عاصمة مصر فحاصرها وتمّ فتح الإسكندرية سنة ٢٠هـ .

وتولى عمرو إمارة مصر بعد ذلك وهو فى السبعين من عمره ودامت ولايته أربع سنوات وبضعة أشهر ، وفى خلال هذه المدة أرسى قواعد الدولة الإسلامية فى مصر بما سنّه من قوانين ونُظُم إدارية ، وبنى أول مسجد فى القارة الإفريقية ، كما بنى دار الإمارة وبيت المال ، وجعل عاصمته الفسطاط ، وهى أول عاصمة إسلامية لمصر .

وفى عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه عُزل عمرو عن مصر وعاد إلى مكة ، واشترك فى الثورة التى حدثت بين على بن أبى طالب كرّم الله وجهه ، وبين معاوية بن أبى سفيان .

وبعد أن استتب الأمر لمعاوية ، أعاد معاوية تعيين عمرو والياً على مصر ، ودامت ولاية عمرو الثانية لمصر خمس سنوات ، وتوفى عمرو بن العاص فى آخر أيام رمضان سنة ٤٣هـ ، ودُفن فى سفح المقطم وذلك عن ٩٣ عاماً على الأرجح .

وفاة أم المؤمنين السيدة عائشة

فى رمضان سنة ٥٨ هـ

وُلِدت السيدة عائشة فى الإسلام قبل الهجرة بحوالى عشر سنوات ، والدها أبو بكر الصديق وأمها أُمُّ رومان ، وهى أم عبد الرحمن أخيها أيضاً ، وقد توفيت أم رومان فى أواخر السنة السادسة للهجرة .

وتقول الرواية إن السيدة عائشة كانت على قدر من الجمال .

والسيدة عائشة كانت أحب زوجات الرسول ﷺ إليه بعد السيدة خديجة ، وتذكر الروايات أن الله سبحانه وتعالى هو الذى زوّج الرسول ﷺ من عائشة ، فقد رأى الرسول فى المنام شخصاً يحمل إليه قطعة من الحرير الأخضر وقد نُقشت فيها صورة ، فلما كشف الشخص عن الصورة سأله الرسول ﷺ من هذه ؟ فأجيب : هذه عائشة وهى زوجتك فى الدنيا والآخرة ، إنها تُذهب بعض حزنك وإن فيها لخلفاً لخديجة .

وخطبها الرسول ﷺ من أبيها وعقد عليها وأصدقها أربعمائة درهم أو خمسمائة ، ولكنها كانت فى حوالى العاشرة فأجل الدخول بها لصغر سنها .

ودخل بعائشة فى شوال سنة اثنتين للهجرة ، حينما كان عائداً من غزوة بدر ، وكان قد بنى لها حجرة بجوار المسجد ، وكان جهاز عائشة بسيطاً جداً ، إنه حصير وسرير مشدود بالحبال ، وبعض الأوانى من الفخار فى حجرة واحدة تمسّ اليد سقفها ، وتقول السيدة عائشة إنها لم تشعر بضيق المكان فقد وسّع الرسول ﷺ قلبها وعقلها ، فلم تهتم بالمظاهر المادية .

البيئة العربية والزواج من الصغيرات:

وبمناسبة الحديث عن زواج الرسول ﷺ وقد تجاوز الخمسين بالسيدة عائشة وهى فى مطلع العقد الثانى من العمر ، نذكر أن زواج كبار السن بالفتيات الصغيرات كان شائعاً فى البيئة العربية ، فقد تزوج عبد المطلب جد الرسول من هالة بنت وهب يوم تزوج أصغر أبنائه عبد الله بأختها الكبرى آمنة بنت وهب ، وعرض عمر ابنته حفصة على أبى بكر ليتزوجها مع أن أبا بكر أسنّ من عمر بحوالى عشر سنوات وتزوج عمر بن الخطاب أم كلثوم بنت على بن أبى طالب مع أن عُمر أكبر من علىّ بحوالى خمسة عشر عاماً .

وتتحدث السيدة عائشة عن خشونة العيش فى بيت الرسول ﷺ ، وعن الجوع الذى عرفه الرسول أحياناً ، وأن عائشة كانت تتألم له ، فكان يقول لها : يا عائشة ، مالى وللدنيا ؟ لقد سبقنى أولوا العزم من الرسل ، وصبروا على ما هو أشدّ من هذا ، فمضوا على حالهم وقدموا على ربهم ، فأكرم مآبهم وأحسن ثوابهم .

وكان الوحى لا ينزل إلا فى بيتها ، وفى مرة بعد أن تلقى الرسول ﷺ الوحى قال لها :

يا عائشة هذا جبريل يقرئك السلام .

وقد نزل الوحى قليلاً فى بيت أم سلمة زوجة الرسول ﷺ .

مكانتها فى رواية الحديث وفى التشريع:

اشتهرت السيدة عائشة بالرواية الصادقة عن الرسول ﷺ، وبالوعى الكامل لشئون الشريعة والتفقه فى الدين وبخاصة فى شئون المرأة .

وتقول السيدة عائشة فى رواية الإمام البخارى : نقلنى رسول ﷺ بالزواج منه إلى عالم آخر لم أكن اهتدى إليه بدونه ، وعشت معه الحياة التى رسمها ربّه ، حياة النبوة ، والزهد فى متاع الدنيا ، والرغبة فى الآخرة .

وقد روت السيدة عائشة عن الرسول كما يقول الذهبى - علماً كثيراً - طيباً مباركاً فيه ، كما روت عن أبيها وعن عمر

وروى عنها عدد كبير من الصحابة والتابعين ، ويروى الترمذى عن أبى موسى الأشعرى أنه قال : ما أشكل علينا حديث قط فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها به علم .

وكانت أقرب نساء الرسول ﷺ إليه وهى تحكى ذلك بقولها : فضِّلت على نساء الرسول بعشر ولا فخر كنت أحب نسائه إليه ، وتزوجنى بكراً ، ولم يتزوج بكراً سواى ، ونزل عذرى من السماء ، واستأذن الرسول نساءه فى مرضه قائلاً لهن : إنى لا أقوى على التردد عليكن ، فأذَنَّ لى أن أبقى عند بعضكن ، فقالت أم سلمة : قد عرفنا مَنْ تريد ، عائشة ، قد أذنا لك ، وكان آخر زاده فى الدنيا ريقى ، فقد استاك بسواكى ، وقُبض بين حجرى ونحرىَ ودُفن فى بيتى .

وكانت السيدة عائشة كثيرة الصدقة ويروى أن معاوية بعث لها بمائة ألف درهم ، ويقول عروة بن الزبير ، والله ما أمست حتى فرّقتها ، فقالت لها مولاة لها : لو اشتريت لنا منها بدرهم لحماً ؟ فأجابت السيدة عائشة قائلة ، لو ذكرتينى لفعلت .

وتوفيت السيدة عائشة فى ١٧ رمضان سنة خمسين للهجرة ودفنت بالبقيع .

رحم الله السيدة عائشة لقد كانت نعم الزوجة حساً وشفافية من جانب ، وعوناً على التبليغ عن الرسول ﷺ من جانب آخر .

بدء خلافة عبد الملك بن مروان

٦٥-٨٦هـ

تاريخ الأمويين يحتاج إلى إنصاف:

دُوِّن تاريخ الأمويين فى عهد أعدائهم العباسيين ، ولذلك ظهر فيه ألوان من الظلم ، وقد بذلت الجهد لإنصاف الأمويين وأنا أدون تاريخهم.

ومن أهم خلفاء الأمويين عبد الملك بن مروان الذى تولى الخلافة فى السادس والعشرين من رمضان سنة ٦٥هـ.

معلومات سريعة عن عبد الملك :

- كانوا يقولون عنه : يلد الناس أبناء ، وولد مروان أباً .
- تربَّى فى المدينة المنورة ، فقد كان أبوه مروان بن الحكم والياً عليها فى عهد معاوية ، فدرس عبد الملك العلوم الإسلامية على شيوخها ، وتفوق فى دراسته حتى أصبح أحد فقهاء المدينة الأربعة
- شاعر وأديب وخطيب .
- ثابت الجأش عند الشدائد ، يقود جيشه بنفسه .

- قضى على الفتن التى كانت تعمُّ العالم الإسلامى عندما تولَّى الخلافة .

- يقول عنه ابن خلدون : هو من أعظم خلفاء الإسلام والعرب ، وكان يقتدى فى تنظيم الدولة بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب .

- عرَّب الدواوين ، فكان ذلك سبباً فى اتساع نطاق العالَم العربى إلى ما هو عليه الآن .

- أعطى الطابع النهائى لنظام البريد المتطوِّر .

- سكَّ النقود الإسلامية وجعلها العملة الوحيدة بالعالم الإسلامى لأول مرة .

- أول من كسا الكعبة بالديباج .

- فى عهده ابتكر الحجاج قضية « نَقْط » الكلمات القرآنية ، فأزال الشك الذى لحق بعض الكلمات قبل ابتكار النُّقْط .

- تمَّت فى عهده إصلاحات زراعية وتجارية كثيرة عادت بالخير الوفير على الأمة الإسلامية .

- بنى عبد الملك « مسجد قبة الصخرة » على الصخرة المقدسة التى مسَّتها أقدام النبى عليه الصلاة والسلام ليلة الإسراء ، وهو غير المسجد الأقصى الذى أعاد بناءه ابنه الوليد ، ومسجد قبة الصخرة فريد فى نوعه ، فقد بنى مثمَّن الأضلاع ، وارتفعت فوقه قبة عالية مزخرفة بالفسيفساء بدقة متناهية ، وكان من أسباب بنائه على هذا النحو من الفخامة القضاء على إعجاب بعض المسلمين بكنيسة القيامة التى كانت شامخة بهذه المنطقة .

- اتَّسع العالم الإسلامى فى عهده اتساعاً شاسعاً .

- كان عبد الملك حسن الصلة بآل البيت ، فكان يتودّد لعلى بن الحسين ويبرُّه .

- وإذا كان القارىء يتعاطف مع عمر بن عبد العزيز ويثق فى رأيه فليتذكر أن رأى عمر فى عمه « عبد الملك » كان رائعاً ، فعندما رزق طفلاً أسماه « عبد الملك » تيمناً بعمه ، وعندما مات عبد الملك بن مروان حزن عليه عمر أشدّ حزن ، ويقال إنه لبس الحداد عليه سبعين يوماً ، وكان عمر يرى فى عمه عبدالملك صورة صادقة للخليفة المسلم .

- قال نافع عنه : لقد رأيت المدينة وما بها شاب أشدُّ تشميراً ، ولا أفقه ،ولا أنسك ،ولا أقرأ لكتاب الله منعبد الملك بن مروان .

- وسئل عبد الله بن عمر : من نسأل بعد رحيلكم ؟

فقال : إن لمروان ابناً فقيهاً فاسألوه .

- وقال الشعبى عنه : ما جالست أحداً إلا وجدت لى عليه الفضل إلا عبد الملك بن مروان .

ذلك هو عبد الملك بن مروان ، وإننى أتساءل بعد ذلك : أليس عيباً أن يجهل المسلمون تاريخ هذه الشخصية الفذة ؟ أعتقد أن ذلك عيب كبير ، وإننا نتدارك ذلك العيب ، فنقدم هذه الشخصية للقارىء العربى والقارىء المسلم لتكون مثالاً يحتذى .

المؤسس الثانى للدولةالأموية :

عبد الملك هو المؤسس الثانى للدولة الأموية ، تولى الخلافة والعالَم الإسلامى متفكك ، فابن الزبير أعلن نفسه خليفة فى الحجاز ، والشيعة ثائرون ، والخوارج متمردون ، والمختار ابن أبى عبيد الثقفى يقود جيشاً كبيراً يبطش به بلا هدف إلا حبُّ الذات ، وقد حدثت هذه الاضطرابات عقب وفاة معاوية ، وفى عهد ابنه يزيد ، ولما مات يزيد ورفض ابنه معاوية الثانى الخلافة ، استقر رأى بنى أمية على إسناد الخلافة لمروان ابن الحكم وبدأ هذا يناضل ليحقق الاستقرار للبلاد ، ولكن العمر لم يمهله ، فكانت مدة خلافته سنة واحدة ، وآل الأمر إلى ابنه البطل عبد الملك الذى استطاع أن يردَّ البلاد كلها إلى الطاعة ، وأن يقضى على كل تمرد وعصيان ، فاستحق أن يوصف بأنه المؤسس الثانى للدولة الأموية (كان معاوية هو المؤسس الأول) .

عبد الملك أحد فقهاء المدينة الأربعة:

وعبد الملك كان يتمتع بثقافة عالية ، وكان يعد أحد فقهاء المدينة ، ومن طبقة سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير ، ويقول الشعبى عنه : ما ذاكرت أحداً إلا وجد لى الفضل عليه إلا عبد الملك فإنى ما ذاكرته حديثاً إلا زادنى فيه ، ولا شعراً إلا زادنى فيه ، وكان يقال فقهاء المدينة أربعة : سعيد بن المسيب ، وعبد الملك بن مروان ، وعروة بن الزبير ، وقبيصة بن ذؤيب ، وقال ابن عمر عنه : يلد الناس أبناء وولد مروان أباً .

بطولة وثبات :

ويبدو أن عبد الملك كان رجل الساعة ، فقد كان ثابت الجأش لا تزعزعه الشدائد ، بل كان يميل إلى مصارعة الشدائد ليزعزعها هو ، ويروى المسعودى أن عبد الملك سار على رأس الجنود الشامية ليساعد عبيد الله بن زياد الذى كان يحارب المختار بن أبى عبيد ، وحط عبد الملك رحاله فى الطريق ليلة ، فجاءه خبر مقتل عبيد الله وانهزام جنده ، ثم جاءه بعد قليل خبر انهزام جيشه الذى أرسله لمحاربة ابن الزبير بالحجاز ، وتلاه خبر ثالث بدخول ابن الزبير أرض فلسطين ، وخبر رابع بمسير امبراطور الروم مهاجماً حدود الدولة الإسلامية عند المصِّيصة ، وخبر خامس بأن عبيدَ دمشق وأوباشها أطلقوا المسجونين وهاجموا السكان ، وخبر سادس أن بعض الاعراب أغاروا على حمص وبعلبك . قال المسعودى : يروى أن عبد الملك لم يُرَ فى ليلة قبلها أشد ضحكاً ولا أحسن وجهاً ولا أبسط لساناً ولا أثبت جناناً من تلك الليلة تجلداً وسياسة ، وواجه هذه الأحداث جميعها وانتصر عليها ، وأعاد الأمن وقطع دابر الفتنة .

عبد الملك يقود الجيوش بنفسه :

وكان عبد الملك يقود جيوشه بنفسه فى أكثر الأحوال ، وكان النصر حليفه ، ومن أهم المعارك التى قادها معركة العراق ضد مصعب بن الزبير وقد انتصر فيها عبد الملك وقُتل مصعب وحينما أراد عبد الملك أن يقود جيش الشام ليلتقى بمصعب

أشار عليه رؤساء أهل الشام أن يقيم هو بالشام ويبعث على الجيوش قائداً غيره ، فإن ظفرت جيوشه فذاك ، وإلا أمدَّهم بجيوش أخرى ، وقالوا له : إننا نخشى أن تصاب بسوء ، فلا يكون للناس ملك يدبر أمرهم ، فأجاب عبد الملك : إنه لا يقوم بهذا الأمر إلا قرشى له شجاعة ، وله رأى فى الحروب ، وله فراسة وسياسة ، وإنى أجد هذه الشروط فى نفسى أكثر مما أجدها فى غيرى ، فأوثر أن أتولى أنا قيادة هذه الجيوش .

أجدر من يحمل أعباء الخلافة:

ومن أبرز أخلاق عبد الملك اعتداده بنفسه ، وإيمانه أنه ليس هناك من يضارعه من معاصريه فى حمل أعباء الخلافة ، وهو يقول فى ذلك : ما أعلمُ أحداً أقوى على هذا الأمر منى ، وإن ابن الزبير لطويل الصلاة كثير الصيام ، ولكن لبخله لا يصلح أن يكون سائساً .

مواقف حضارية لعبد الملك:

لعبد الملك بن مروان مواقف حضارية رائعة ، لا تزال تذكر فتُشْكَر ، ونورد فيما يلى بعض هذه المواقف :

تعريب الدواوين:

من أعمال عبد الملك المجيدة أنه عرَّب الدواوين ، فقد كان ديوان الشام يُكتب باليونانية ، وكان ديوان فارس يُكتب بالفارسية ، وكان ديوان مصر يُكتب بالقبطية ، فعزم عبد الملك

على نقلها جميعاً إلى اللغة العربية ، وقد تمَّ في حياته نقل ديوان الشام إلى العربية على يد سليمان بن سعيد ونقل ديوان فارس على يد صالح بن عبد الرحمن ، أما ديوان مصر فقد تمَّ نقله فى عهد الوليد بن عبد الملك ، وبنقل هذه الدواوين للغة العربية انتشرت اللغة العربية فى أقطار جديدة ، وقد مهَّد ذلك لعالم عربى فسيح لا يقف عند حدود الجزيرة العربية موطن هذه اللغة ، ولولا هذا التصرف من عبد الملك بن مروان لظلت اللغة العربية محصورة فى تلك الأقطار التى توجد فى الجزيرة العربية ، ولكن عمل عبد الملك وسع دائرة اللغة ، فانتشرت مع الدم العربى الذى كان قد تخطى الجزيرة منذ أمد طويل إلى المناطق والأقطار التى تسمى الآن « العالم العربى » فالتقت اللغة مع الدم ، واتسع نطاق العالم العربى ، وقد عنيت الأقطار العربية خارج الجزيرة العربية بالدراسات الإسلامية أعظم عناية وخدمت اللغة العربية والأدب العربى والفكر الإسلامى خدمات جليلة .

ويرى ابن خلدون أن سبب تعريب الدواوين آنذاك أن العرب كانوا قد انطلقوا من طور البداوة وأقبلوا على تعلم القراءة والكتابة فساعد ذلك على قضية التعريب ، إذ وجد بين العرب من يستطيع أن يقوم بالمهمة التى كان غير العرب يتولونها بالدواوين .

وساعد على ذلك أيضاً أن عدداً كبيراً من غير العرب الذين كانوا قد دخلوا الإسلام تعلموا اللغة العربية ، فرئى أن هؤلاء أولى من غير المسلمين لمباشرة العمل فى الدواوين .

نقط الحروف العربية:

فى عهد عبد الملك لوحظ أن غير العرب الذين تعلموا اللغة العربية لم يكونوا يستطيعون ضبط الكلمات أحياناً لتشابه الحروف ، وقد تسبب عن هذا تغيير فى معانى القرآن أحياناً ، فاتجه الخليفة وأعوانه إلى إحداث ما يضمن سلامة النطق حتى لا يقع هذا « التصحيف » فوضعوا علامات للحروف المتشابهة لتمييز بعضها عن بعض ، وكانت هذه العلامات عبارة عن نقطة أو نقط توضع فوق الحروف أو تحتها .

عبد الملك وحرمة الكعبة:

عندما اضطر عبد الملك إلى إرسال جيش ليحارب عبد الله ابن الزبير الذى ادعى الخلافة بالحجاز منع عبد الملك قائد هذا الجيش « الحجاج » من انتهاك حرمة الكعبة ، وأمره ألا ينفر أطيارها ، ولا يهتك أستارها ، ولا يرمى أحجارها ، وأن يحاصر ابن الزبير حتى يموت جوعاً أو يخرج من مكة للقتال .

ولكن ابن الزبير لاذ بالبيت وقاوم منه ، فاضطر عبد الملك أن يأذن للحجاج فى محاربته أنَّى يكون ، والتزم بإصلاح ما قد تدمره الحروب ، فأخذ الحجاج فى تنفيذ ذلك ، ولكن عندما دخل موسم الحج توقف الحجاج عن الرمى فى الحرم ليقضى الناس مناسك الحج ، ولم يعد للحرب ، إلا بعد أن انتهى موسم الحج ، وبعد نهاية ابن الزبير أمر عبد الملك قائده الحجاج أن يعيد بناء الكعبة والمسجد الحرام ففعل .

عبد الملك بن مروان والنقود الإسلامية:

ظهرت النقود الإسلامية على النمط البيزنطى ثم النمط الساسانى ابتداء من سنة ١٥هـ فى عهد عمر بن الخطاب ، وظهر عليها بعض العبارات الإسلامية مثل « **الحمدلله** » و « **لا إله إلا الله** » وأحياناً ظهر عليها اسم الخليفة « **عمر** » .

وفى العهد الأموى ضرب معاوية الدراهم والدنانير ، وأذن لبعض ولاته فضربوا النقود أيضاً مثل زياد بن أبى سفيان وعبيد الله بن زياد ، وظهر اسم معاوية على هذه النقود أحياناً ، كما ظهر عليها بعض العبارات الإسلامية مثل « **باسم الله** » .

وعندما أعلن عبد الله بن الزبير أنه الخليفة عقب استشهاد الإمام الحسين تبعه أغلب العالم الإسلامى فترة من الزمن ، فضرب خلالها النقود باسمه ، كما ضربها مصعب أخوه .

وكانت النقود الإسلامية فى كل هذه العصور وفى عهد عبد الملك حتى سنة ٧٦هـ أو ٧٧ تسير فى فلك النقود البيزنطية شكلاً ووزناً ، وكانت - فى الغالب - لا تزيد عن إضافة كلمات إسلامية للدنانير البيزنطية ، أما عبد الملك فلم يقنع بالإضافة ، وإنما أحدث تغييراً شاملاً فى ضرب الدنانير بوجه خاص والنقود الفضية والنحاسية بوجه عام كما سنرى فيما يلى :

عبد الملك والنقود:

يرتبط تاريخ النقود الإسلامية بعبد الملك بن مروان ارتباطاً كبيراً ، وسبب ذلك أن عبد الملك أثبت على القباطى جملةً إسلامية هى (بسم الله الرحمن الرحيم) وكانت الروم تشترى هذه القباطى من مصر الإسلامية ، وكانت القباطى بديل الورق فى الكتابة قبل أن يعرف العالم الإسلامى وأوروبا الورق ، وقد تضايق الروم لإثبات (بسم الله الرحمن الرحيم) على جميع القباطى بما فى ذلك ما تشتريه الروم .

وكانت النقود الكثيرة الاستعمال فى العالم الإسلامى فى ذلك الوقت هى نقود الروم ، فطلب امبراطور الروم من عبد الملك أن يحذف من القباطى هذه العبارة الإسلامية ، ولم ير عبد الملك أن يستجيب له ، وكره أن يبطل سنةً حسنة استنَّها ، فاغتاظ امبراطور الروم ، وهدد بأنه إذا لم تحذف هذه الجملة فسيأمر بكتابة عبارة تعارض التفكير الإسلامى - كالتثليث مثلاً - على عملة الروم وهى العملة المستعملة كثيراً فى العالم الإسلامى .

إزاء هذا التهديد كان على عبد الملك أن يجد طريقاً ليستمر فى كتابة البسملة ، وفى الوقت نفسه يتحاشى استعمال نقود الروم التى قد تحمل ما يتعارض مع التفكير الإسلامى ووحدانية الله ، وكان ذلك بدء التفكير الجدِّى لإنتاج نقود إسلامية ، وتحريم استعمال سواها .

واستشار عبد الملك أهل الخبرة من المسلمين فى ذلك الأمر ، ومن أهمهم محمد الباقر وخالد بن يزيد بن معاوية وآخرون ، فأشاروا عليه ضرب النقود الإسلامية ، وحددوا وزنها وقيمتها ، فجعلوا الدينار وزن مثقال ، والدرهم وزن درهم ، ففعل عبد الملك وكان ذلك سنة ٧٦هـ كما جاء فى رواية الطبرى أو كان سنة ٧٧هـ ، وأرسل عبد الملك هذه النقود إلى جميع الأمصار وأبطل التعامل بغيرها من النقود ، وهدَّد بالقتل من يتعامل بغير نقود المسلمين ونقش على دنانير عبد الملك كلمات إسلامية مثل « **لا إله إلا الله** » ومثل سورة الصمد كما نقش أحياناً اسم البلدة التى ضربت فيها النقود ، واسم الخليفة ، وصورته أحياناً وتاريخ الضرب .

ويمكن تلخيص الأسباب التى دفعت عبد الملك لإحداث تغيير فى النقود الإسلامية وتلخيص اتجاهات التغيير فيما يلى :

أولاً : كان عبد الملك قد وقع معاهدة سنة ٦٧هـ مع الروم ، وكان من شروطها أن يدفع إتاوة قدرها ألف دينار - سنوياً لامبراطور الروم ، وقد اضطر عبد الملك إلى ذلك حتى يتفرغ للمشكلات الداخلية التى أشرنا لها من قبل ، وانتهى وقت المعاهدة ، وانتهت أغراضها بما حققه عبد الملك من انتصارات على تلك المشكلات ، ولذلك قام عبد الملك سنة ٧٧هـ بتعريب النقود دليلاً على اكتمال السيادة الاقتصادية تبعاً لاكتمال السيادة السياسية .

ثانياً : بعد تعريب الدواوين كان لابد من تعريب النقود وتخليصها من أية سيطرة بيزنطية عليها ، سواء كانت هذه السيطرة مادية أو معنوية ، فضرب عبد الملك نقوداً لا ترتبط بالنقود البيزنطية من ناحية الشكل أو الوزن أو السعر .

ثالثاً : جعل عبد الملك حق ضرب الدنانير للخليفة وحده ، وليس لأى عامل أو والٍ كما كانت الحال من قبل ، وذلك لاكتمال سيادة الخلافة على النقود ، فلم يعد يُسمح بضرب النقود الذهبية (الدنانير) إلا فى دارى الضرب الرسميتين بدمشق والقاهرة ، وكان هناك رسم موحد للضرب فى هاتين الدارين ، أما النقود الفضية والنحاسية فكان يمكن ضربها بواسطة الولاة ، مع ملاحظة التغيير الإسلامى فى الشكل الذى لوحظ فى الدنانير .

وبذلك وضع عبد الملك نهاية لاستعمال النقود البيزنطية أو المضروبة على الطراز البيزنطى ، كما أنه صبغ الدولة بصبغة عربية إسلامية تتفق مع الاستقرار السياسى الذى نعمت به الدولة فى عهده .

رابعاً : منع عبد الملك منعاً باتاً - كما ذكرنا من قبل - استعمال أية نقود أخرى فى الدولة الإسلامية ، سواء كان الاستعمال بالداخل أو لشراء أشياء من الخارج ، وبذلك أخذت العملة الإسلامية مكانتها فى العالم ، وأصبحت عملة عالمية .

عبد الملك بين السلطان والعلم:

ولنعد إلى عبد الملك الخليفة العالِم ، والرجل النادر بين الرجال ، لنصور انقلاباً حدث فى حياته عندما تولى الخلافة ، فقد روينا شيئاً عن مكانته العلمية وكيف كان معدوداً بين مشاهير الفقهاء ، وكان فى القمة بين الباحثين والمجتهدين ، ثم ضاع منه الاتجاه العلمى بين صليل السيوف الذى غمر معظم عصره ، والتزامات السلطة التى شغلت لبَّه ، ويبدو أن عبد الملك اندمج فى حياة الخلافة وسعد بها ، واطَّرح ماضيه العلمى ، فلم يؤثَر عنه فى أثناء خلافته بحث علمى ذو بال .

ولم يصح عبد الملك من سكرته بحب الجاه والسلطان إلا فى آخر أيامه حيث سجَّل صحوته فى مقطوعة شعرية يتحسر فيها على تضييع وقته بين المعارك وأمجاد السلطة الزائفة ، ويتمنى لو أنه لم يهتم بهذه الأشياء ، وأنه عاش فى هدوء ورضا وقناعة ، ونقتطف من هذه المقطوعة بعض الأبيات :

لعمرى لقد عمَّرت فى الدهر برهـــة
ودانت لى الدنيا بوقع البواتـــــر
فيا ليتنى لم أعنَ بالملك ساعـــــــة
ولم ألْهُ فى لذات عيش نواضــــر
وكنت كذى طمرين عاش ببلغــــــة
من الدهر حتى زار ضنك المقابـــر

أحداث رمضانية

ترتبط بتشريعات أو مؤسسات

إسلاميـــــــة

الاعتكاف فى رمضان:

الاعتكاف لزوم المسجد بنية التقرب إلى الله وأركانه : النية والمكث بالمسجد فترة .

ويكثر الاعتكاف فى رمضان وفى العشرة الأخيرة منه بوجه خاص ، وهو سنة ؛ فقد كان الرسول ﷺ يعتكف ، وكذلك الصحابة رضى الله عنهم ، ويجوز للنساء الاعتكاف إذا وجد لهن مكان خاص بالمسجد ، ويجوز الاعتكاف فى غير رمضان .

وشـــروط الاعـــتكاف : الإسلام والطهارة من الجنابة والحيض ، والاعتكاف من التشريعات القديمة قال تعالى **﴿ وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين ﴾**(١) .

---

(١) البقرة : ١٢٥ .

وللمعتكف أن يقطع اعتكافه لضرورة كعلاج مريض أو قضاء حاجة .

ويستحب للمعتكف أن يكثر من الصلاة وقراءة القرآن الكريم ومدارسة العلم .

ليلة القدر

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **إنا أنزلناه فى ليلة القدر * وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر * تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر * سلام هى حتى مطلع الفجر** ﴾(١).

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ **شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن** ﴾(٢).

ويقول سبحانه وتعالى فى سورة الدخان ﴿ **إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا منذرين * فيها يفرق كل أمر حكيم * أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين * رحمة من ربك إنه هو السميع العليم** ﴾(٣).

وهذه الآيات الكريمة تتحدث عن إنزال القرآن الكريم وعن الزمن الذى أنزل فيه .

ويميل أكثر العلماء إلى أن نزول القرآن الكريم فى ليلة القدر يعنى بدء نزوله فيها على النبى ﷺ ، أى أن الآيات الأولى

---

(١) سورة القدر : ١-٥ .

(٢) البقرة : ١٨٥ .

(٣) الدخان : ٣-٦ .

من سورة العلق ﴿ **اقــرأ بـاسم ربك الذى خلق** .... ﴾ نزلت فى هذه الليلة ، وقيل إنه نزل جملة إلى السماء الدنيا ثم نزل منجّماً بعد ذلك .

والقدْر معناه الشرف ، وليلة القدْر معناها : ليلة الشرف والبركة ، أى الليلة التى حصل لها الشرف بأن أُنزل القرآن الكريم فيها ، وجدير بليلة ينزل فيها هذا الذكر الحكيم أن توصف بالشرف والجلال وقد أظهر الذكر الحكيم شرفها بالآيات التى تصوِّر عظمتها وجلالها ، قال تعالى : ﴿ **ومـا أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر** ﴾ كما صوَّر الذكر الحكيم أن عالم الملائكة يشترك مع عالم الإنس فى الفرح بهذه الليلة والسرور بها قال تعالى : ﴿ **تنزل الملائكة والروح (جبريل) فيها بإذن ربهم من كل أمر * سلام هى حتى مطلع الفجر** ﴾ .

ومصدر الفرح أن هذه الليلة هى التى نزل فيها الهدى من السماء إلى سكان الأرض وما ترتب على ذلك من نزول الملائكة ، أو لما ينزل فيها من البركة والرحمة والمغفرة .

وليست ليلة القدر معروفة معرفةً دقيقة بين ليالى شهر رمضان ، وقد ورد عن الرسول ﷺ قوله : [**إنى أُريت ليلة القدر ثم أُنسيتها فالْتمسوها فى العشر الأواخر فى الوتر**] .

وكأنَّ الله سبحانه وتعالى أراد أن يُفسح الطريق للمسلمين فى العبادة ، وأن يحثهم على إحياء شهر رمضان كله ، وعلى مزيد من العبادات فى العشر الأواخر بدل أن يركِّزوا عبادتهم فى ليلة منه ، لو حُددت الليلة التى حظيت بهذا الشرف والقدر .

تلك هى ليلة القدر ، لكن بعض الناس اعتقد أن القدْر معناه الحظ أو النصيب ، واتجهوا إلى أن هذه الليلة قد تحقق لهم حظاً أوفر فى حياتهم ، وهكذا راح هذا الاتجاه فى ماديته يلعب بالناس وينحرف بهم عن الطريق الصواب فتصوروا أن **«طاقة القدر»** تظهر لبعضهم فيستجاب دعاؤه ، فراحوا يتلمسون هذه الطاقة ويُعدُّون سلاسل للدعوات لتتحقق لهم ، وتمرُّ السنون تلو السنين ولا يرى أحد **«طاقة القدر»** ولكن الشائعات هى هى ، ويغتنى كثير من الناس ويفتقر آخرون ويسعد أناس ويشقى آخرون بدون **«طاقة القدر»** ولكن الكسالى لا يريدون أن يعملوا ولا أن يكدحوا ، وإنما يترقبون **«الطاقة»** لتهب لهم كل شىء دون أن يقدِّموا شيئاً ، والله تعالى ربط الأسباب بمسبباتها قال تعالى : **﴿... فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله﴾**(١)، وقال **﴿... اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله ...﴾**(٢).

---

(١) الجمعة : ١٠ .

(٢) التوبة : ١٠٥ .

وإذا تركنا هؤلاء الذين اتجهوا اتجاهاً مادياً ويريدون أن تتحقق آمالهم بدعوات يطلقونها فى ليلة القدر ، فإننا نتجه إلى تصحيح الوضع مذكرين المسلمين بأن الله دائماً قريب من الداعين ، وطالما استجاب لهم وحقق آمالهم الطيبة ، قال تعالى : ﴿**فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان**﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ **ادعونى أستجب لكم** ﴾ (٢) .

على أننا فى هذا المجال نحث الداعى ألا يكون مادياً وألا يتجه بدعواته إلى تحقيق المال أو عتاد الدنيا ، فطالما شقى بالمال كثيرون ، إننا نبغى أن ندعو الله أن يهبنا التوفيق والرعاية والستر ، وغيرها من الدعوات التى تنفع فى الدنيا والآخرة .

أما الطريق الصحيح لإحياء ليلة القدر فقد رسمته لنا الأحاديث الشريفة وفيما يلى بعض هذه الأحاديث :

- عن السيدة عائشة قالت : كان النبى ﷺ إذا دخلت العشر الأواخر من رمضان أحيا الليل وشدَّ المئزر وأيقظ أهله .

وهذا معناه غاية الجد فى العبادة ، والانخراط فيها ، والحماسة من أجلها ، ودعوة الأهل للأخذ بنصيب منها ، ويضيف الشوكانى إلى ذلك اعتزال النساء (٣) .

---

(١) البقرة : ١٨٦ .

(٢) غافر : ٦٠ .

(٣) نيل الأوطار جـ ٤ ص ١٥٢ .

وعن السيدة عائشة أيضاً قالت : كان النبى يجتهد فى العشر الأواخر من رمضان ما لا يجتهد في غيرها

- من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفِر له ما تقدم من ذنبه ، وعلى هذا فليلة القدر عيد يجب أن يفرح به المسلمون ففى هذه الليلة نزل لهم القرآن الكريم الذى فيه هداهم وفيه الخير لهم ، والاحتفال بذلك العيد ينبغى أن يكون على ذلك النمط الذى وصفه نبى الإسلام صلوات الله وسلامه عليه .

الأزهـر الشريـف

منارة العلم والفكر ، وحارس علوم اللغة والدين منذ أكثر من ألف عام ، وقد مرت قرون وليس هناك فى العالم سواه مشعلاً للنور ، بارك الله فيه وأيده بروح من عنده .

وقد وضع جوهر الصقلى أساسه بأمر من الخليفة الفاطمى فى ٧ رمضان سنة ٣٦١هـ ، وجلس به على بن النعمان مدرساً سنة ٣٦٥هـ ، ثم أعلن يعقوب بن كلس نقله إلى جامعه سنة ٣٧٨هـ ، وعين له هيئة تدريس ، وكان من مدرسيه القضاة والمحتسبون .

وكان الأزهر الشريف فى أكثر تاريخه يهيىء لطلاب العلم كل وسائل الراحة ، فما إن يصل الطالب إلى الأزهر حتى يجد أن مشكلاته قد حُلّت ، فالرواق يضمن له السكنى والجراية تضمن له الطعام ، والحلقات الدراسية مفتوحة ليختار منها ما يناسبه .

وكان يُدرس بالأزهر الفقه ، ويقوم بتدريسه آل النعمان ، ويدرس به التاريخ الإسلامى ، ويقوم بتدريسه المسبحى المصرى ، ويدرس به الحديث ويقوم بتدريسه القضاعى ، وكان القضاعى أيضاً يدرس أنباء الأنبياء وهو العلم الذى يسمى الآن «**مقارنة الأديان**» بعد نوع من التعديل فى طرق تدريس هذه الأنباء .

وكان يدرس به النحو ويقوم بتدريسه ابن بابشاذ والشاطبى .

وكان يدرس به الطب ، وممن علَّم هذه المادة بالأزهر الشريف الحسن بن الخطير وعبد اللطيف البغدادى .

وعلى مر التاريخ لقى الأزهر عناية الخلفاء والسلاطين المصريين وبخاصة خلفاء الفاطميين وسلاطين المماليك ، فحظى الأزهر بمزيد من الأوقاف ، وأضيفت له أروقه إلى أروقته ، وزينوا محاريبه ، كما وهبوا له المنابر والقناديل الثمينة ، وانتشرت به زخارف غاية فى الروعة والجمال ، ولكنه عانى بعض الإهمال فى العهد الأموى والعهد العثمانى .

وبالأزهر الشريف تسعة وعشرون رواقاً ، للصعايدة والشراقوة والبحاروة ، ثم للحرمين وجاوه والسليمانية والمغاربة والأتراك ، والسودانية ، والجبرتية ، والأكراد ، والهنود ، والشوام .

وبه ثلاثة عشر محراباً و ست مآذن و سبع مزاول لمعرفة الوقت و تسعة أبواب أهمها : باب المزينين والمغاربة والعباسى والجوهرية .

تغذيته الجامعات المصرية

والجامعات العربية :

فى العصر الحديث عندما اتجهت مصر لإنشاء جامعة القاهرة كان الأزهر هو المعين الذى اعتمدت عليه الجامعة ، فقد أخذت طلابها منه ، ومثل هذا يقال عن الجامعات العربية التى أنشئت فى العصر الحديث فقد كان الأزهر الشريف هو المعين الذى أمدها بالأساتذة والعلماء .

وعندما أرادت مصر فى عهد محمد على باشا أن ترسل مبعوثين لدول الغرب ، اختير المبعوثون من الأزهر الشريف .

وقد تطور الأزهر مع الزمن تطوراً عظيماً ، فبعد أن كانت الدراسة تجرى فى المساجد أصبح للأزهر مدرجات فخمة تضاهى المدرجات فى الجامعات المصرية والغربية .

وكان الأزهر الشريف متخصصاً فى دراسة العلوم العربية والشرعية ، وأحياناً - كما ذكرنا - كان يدرس به الطب ، ولكن الأزهر فى العصر الحديث اهتم اهتماماً كبيراً بالعلوم العملية المختلفة فظهرت به كليات للطب والصيدلة والهندسة والتجارة والزراعة والترجمة ، وكذلك كليات خاصة بالفتيات .

ويهتم الأزهر بإصدار الفتاوى التى يطلبها المجتمع ، كما يتولى الوعظ والإرشاد .

وعلى العموم فهى مسيرة مباركة رائعة منذ أكثر من ألف عام ، ولا تزال تحثُ الخطا فى ثبات واطمئنان .

ومن الأشياء التى يجب أن نتذكرها أن للأزهر فروعاً متعددة فى مدن مصر وقراها ، كما أن له عدة كليات فى أكثر مدن مصر .

ولا ننسى كذلك أن الأزهر كان موطن القيادة السياسية والاجتماعية فى كثير من المواقف التاريخية ، والتاريخ يسجل قيادته للجماهير لمقاومة عَسْف المماليك فى كثير من فترات الحكم المملوكى ، وكان الأزهر عالى الصوت فى مقاومة حركة نابليون ، وقدم فى هذا المجال أزكى التضحيات ، وكان مقتل كليبر خليفة نابليون على يد طالب أزهرى هو سليمان الحلبى .

والباحث فى الدراسات المقارنة يدرك بوضوح أن الغرب قلَّد الأزهر فى كثير من مواقفه مثل ربط العلم بالدين ، فالكليات العريقة فى أوروبا مثل كمبردج وأوكسفورد والسوربون قامت مرتبطة بالكنائس على غرار ارتباط الدراسات بالجامع الأزهر.

ونظام الحلقة الأزهرى عرف فى الغرب ، والعمامة والجبَّة ظهرا ببعض التحريف فى الرُّوب الغربى والقلنسوة .

محتــويات الكتــاب

الموضـــــــــوع	الصفحة
* مقدمة للأستاذ الدكتور/ عبد الصبور مرزوق	٣
* مقدمة (معلومات عامة عن رمضان)	٩
* من روحانيات رمضان	١١
* انتصارات المسلمين فى شهر رمضان	١٧
* غزوة بدر الكبرى (رمضان سنة ٢هـ)	٢٣
* غزوة الخندق	٣١
* فتح مكة فى رمضان سنة ٨هـ	٣٣
* غزوة تبوك فى رمضان سنة ٩هـ	٤١
* موقعة البويب ضد الفرس سنة ١٣هـ	٤٧
* فتح جزيرة رودس فى رمضان سنة ٥٣هـ	٥١
* انتصار المسلمين بالأندلس فى رمضان ٩٢هـ	٥٣
* وقفة لصلاح الدين الأيوبى ضد الصليبيين فى رمضان سنة ٥٨٤ هـ	٥٩
* عين جالوت بين المصريين والمغول فى رمضان سنة ٦٥٨هـ	٦١
* الظاهر بيبرس يسترد إمارة أنطاكيا من الصليبيين فى رمضان سنة ٦٦٦هـ	٦٧
* مصر والصهاينة فى العاشر من رمضان ١٣٩٣هـ	٧١

* شهر رمضان - شهر حافل بالأحداث الكبرى ٨٣
* الأحداث الخاصة بشخصيات إسلامية بارزة ٨٥
* من أحداث رمضان - وفاة السيدة فاطمة الزهراء ٨٩
* وفاة خالد بن الوليد سنة ٢١ هـ ٩٣
* استشهاد الإمام على بن أبى طالب
فى ١٧رمضان سنة ٤٠هـ ٩٧
* وفاة عمرو بن العاص سنة ٤٣هـ ١٠٩
* وفاة أم المؤمنين السيدة عائشة فى رمضان ١١٣
* بدء خلافة عبد الملك بن مروان سنة ٦٥-٨٦هـ ١١٧
* أحداث رمضانية ترتبط بتشريعات
أو مؤسسات إسلامية ١٣١
* ليلة القدر ١٣٣
* الأزهر الشريف ١٣٩

****

****

**

ترقبوا فى العدد القادم

جدلية الإسلام

أ . د . محمد شوقى الفنجرى

الثمن ٥٠ قرشا

مطابع الأهرام بكورنيش النيل